مسؤولية رجل الدين

مسؤولية رجل الدين

سامي التميمي





هوية الكتاب

اسم الكتاب: . ... مسؤولية رجل الدين

المؤلف : .... سامي التميمي

الناشر:........مركز الإمام الصادق عليه السلام للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية

الطبعة: .... الأولى

السنة: .... ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

العراق/ النجف الاشرف – شارع المدينة – مقابل جامع الجوهرجي

الموقع الرسمي: http: // imam-sadiq-c. com

البريد الالكتروني: center. alsadiq@gmail. com

ادارة المركز: ٠٧٧٠٩٩٤٧٤٦٦


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ذِي النِعم، بارئُ اللوح والقلم. والصلاة والسلام على سيد العُرب والعجم، ومنقذ الناس من ويلات الحِمم، سيدنا المصطفى محمد وعلى آل بيته الاطهار القمم. وبعد...

مركز الإمام الصادق (عليه السلام) للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية، هو أحد مشاريع المرجعية الدينية في النجف الاشرف، والذي يعمل على رفد الوسط الإسلامي، والبعد العالمي، بالصورة الصحيحة عن الإسلام، الذي كانت ولازالت رسالته الرحمة للعالمين، انطلاقا من قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧].

وتتركز رسالتنا على نشر العلم والمعرفة، وتصحيح الرؤى والمفاهيم الدينية، نستفيد في ذلك من عمق التجربة الدينية في حوزة النجف الاشرف التي تمثل النمرقة الوسطى بين التيارات الدينية المنتشرة في ارجاء المعمورة، ملتزمون في عملنا بالقيم الأخلاقية، والمبادئ الإنسانية، والمثل العليا التي أرادها الله تعالى لعباده، وضمن لهم الكرامة والعزة حال صونها والأخذ بها:

كالرحمة والعدالة والمحبة والاحترام المتبادل والحوار الحضاري والتعايش بسلام طبقا لقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام): (الناس صنفان امّا أخ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق). وهدفنا في كل ذلك

١.كشف الوجه الناصع للإسلام الذي يحاول أعداء الإنسانية اليوم طمسه وإظهاره بمظهر لا يمت له بصلة.

٢.التواصل العلمي والمعرفي، والتلاقح الفكري الحضاري، والحوار البنّاء، مع مختلف الشعوب والثقافات.

٣.تشجيع الباحثين والمفكرين، وتقديم يد العون أليهم من خلال رفدهم بما يسهل مهامهم البحثية، او طبع نتاجاتهم الفكرية.

٤. رفع المستوى الثقافي للمجتمع من خلال الدورات والندوات والنشرات والمجلات وغيرها من أدوات نشر الثقافة.

وبعد اتضاح الطريق تسارعت الخطى من اجل منهجة العمل وتوجيهه نحو التخصصات العلمية التي لها الدور الفعال في تحقيق هذه الأهداف، فاتكأ المركز على مجموعة من الأقسام وهي: قسم

الدراسات القرآنية ـ قسم الدراسات العقدية والفكرية ـ قسم الدراسات التخصّصية في الامام المهدي (عليه السلام) ـ قسم الفقه الإسلامي ـ قسم الحديث والدراسات في نهج البلاغة ـ قسم الفقه الاجتماعي ـ قسم الدراسات التاريخية.

وأبواب المركز وامكانياته مُشرّعة أمام كل الباحثين، والمركز منفتح على كل الجهات التي من همها التواصل العلمي والمعرفي لخدمة الإنسانية وبلورة المنحى الإنساني والعلمي للأديان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

مركز الإمام الصادق (عليه السلام)

للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية

النجف الاشرف

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم وعلى آله خير سادات الأمم.

أما بعد فمن الواضح أن موضوع بحثنا يحظى بأهمية كبيرة لما له من مساس مباشر مع الدين والمجتمع والحياة، وتزداد أهميته مع التطورات والتحديات المتزايدة في شتى مجالات الحياة في عالمنا الإسلامي بل والغربي أيضاً، والحاجة الماسّة إلى تفعيل دور رجل الدين بصورة إيجابية وفاعلة ونوعية.

وهذا الدور يتأتى من خلال الوقوف الجاد على أهم المسؤوليات المنوطة في عهدة رجل الدين عند تلبسه بلباس الشريعة، وتحمله هذه الامانة الالهية العظيمة، وضرورة تفعيلها الواقعي في المجتمع والحياة.

مع العلم أنَّ كل عنوان عظيم يجب على من يحمله ويرفعه أو ينتسب إليه أن يكون ذا درجة كبيرة من المسؤولية تجاه، ووجوب الانقياد له، والذبّ عنه، والحفاظ على قداسته، ونشر رايته، وترسيخ مكانته في قلوب الناس. وبخلاف ذلك - أي بعدم

تحمل المسؤولية، والعمل بخلاف المقتضى والمطلوب - ستحدث انتكاسات وخيمة على جميع الأصعدة - كما هو واقع في الجملة - للأسف.

الغاية من تأليف الكتاب

وأن الذي حدانا الى طرح هذا البحث المهم عدة أمور:

أولاً: هو تذكير اخوتي المؤمنين بمسؤولياتهم في هذا الطريق ذات الشوكة، وهو طريق المصلحين والرساليين على مرّ التاريخ.

ثانياً: التنبيه لما نراه من التقصير الكبير من البعض تجاه هذا العنوان المبارك - عنوان رجل الدين - من خلال تقاعسهم، وإهمالهم، وكثرة معاذيرهم!!

ثالثاً: الحذر من الوقوع في شِراك إبليس اللعين باستغلال ذلك العنوان الشريف لحُب الدُّنيا وزخارفها الفانية فما أكثر الذين سقطوا في شِراكه!! ويا ليتهم امتهنوا مهنة - البقّالين - خير لهم من انتحال صفة الربانيين والمصلحين !! .

رابعاً: شحذ الهمم، وتحمل الصعاب، وإخلاص النوايا، والثبات على الهدى وطريق المصلحين حتى يأتيهم اليقين.

ثـم إن طـرح مثـل هـذه المباحـث لا تقـدح بمكانـة العلـم والمتعلمين!! بل الاغمـاض عـن الأخطـاء والتقصـير الحاصـل مـن البعض ، هـو تقصير بحـد ذاتـه، ويزيـد مـن تفـاقم الجـراح ، لان الاساءة الصادرة من هؤلاء لها تأثير كبير في المجتمع وعلى سمعة الـدين وحاملـه وناهيـك علـى الانتكاسـات الخطيـرة علـى نفـوس الناس.

ولسـنا هنـا لتقـديم النقـد الهـدّام أو الانتقـاص أو التجـريح أو التشويه وكيف ذا ونحن في مركب واحد، إنما نريد الإصـلاح مـا استطعنا، والحق وإن عَزّ لابـد أن يُقـال علـى كـل حـال، ولا يقبـل المجـاملات، أو الإغمـاض، وخاصـة نحـن فـي زمـن تكثـر فيـه العثـرات، ولا تُغفـر فيـه الـزلات، فـالتقي كـاد لا يسـلم مـن ألسـنة القريب فضلا عن الغريـب، فمـا بالـك مـن تكثـر سـقطاتُه، وتظهـر هفواتُه عند القاصي والداني وعلى رؤوس الأشهاد!

إذن أحبتي: لابد لرجل الدين أن يكون بقدر المسؤولية التـي تحملها حتى لا يفّرط فيها، ، أو يقلّل من شأنها أو يقّصر في حقهـا أو يتقهقر عنها.

وكيف ذلك وقد جعل نفسه في مصـاف المبلغـين والرسـاليين كالأنبياء والصالحين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم فـي تبليغ

رسالاته، والذين يدعون الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[١]

وقال تعالى :﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢] .

المؤلف

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٩.

(٢) سورة النحل اية ١٢٥

المبحث الاول

المطلب الاول: مقدمات أساسية

- المقدمة الاولى: تحديد الهدف
- المقدمة الثانية: إخلاص النية
- المقدمة الثالثة: السعي لتحقيق الهدف
- المقدمة الرابعة: الشعور بالمسؤولية
- المقدمة الخامسة: تحمل المسؤولية

المقدمة الأولى: تحديد الهدف

نعني بتحديد الهدف من قِبل الراغبين في التلّبس بلباس رجل الدين، وذلك بعد الدراسة والتدريس في مظانها وتمامها أن يعوا الغرض المطلوب، وبصورة واضحة وجلية من وراء اكتساب هذه العلوم والمعارف والأحكام، وبذل الكثير في إزاءها من المال والجهد والسهر والتغرب الخ.

فلربما البعض من طُلّاب العلم يجهل الأهداف المرجوة من هذه الرحلة المباركة؟ وما هي الخريطة المتبعة والخطوات المطلوبة بعد سنوات من التحصيل؟ مع انهم بادئ ذي بدء كان لديهم الشغف الكبير في تحصيل العلم !!.

فان العلم مع قدسيته، وعلو منزلته، فهو وسيلة للوصول الى الهدف المنشود، من لزوم نشره وتعليمه وارشاد الناس، وهي مسؤولية كبيرة وامانة عظيمة، فما لم تحقق غايته الحقّة يكون حامله في موضع مؤاخذة ومحاسبة من قِبل الله.

فحينما يُركّز طالبُ العلم على الوسيلة -مع شرفيتها- ويكون جُلّ اهتمامه بهضم المطالب والتدرج العلمي ويغفل عن المقصد منه، فإن البعض يتقهقر وينتكس اذا ما نابته نائبة، او اصابه فتور، او لاقى صعوبةً في فهم المطالب، وهذا بخلاف من له غاية

مقدسة يسعى في اقتناصها ونيلها ويكون من أحد رجالها فإنه يكون كالجبل الأشم لا يتزعزع مهما عصفت من حوله الشدائد، ومهما تخلى عن المسير الكثير، فقُرّةُ عينه المقصود هو رضا الله.

وكلما كان الهدف واضحاً وعظيماً صغُر ما دُونه من الأهداف الفانية، واستطاع تجاوزها بقُوّة الارادة، وناضل بكل ما أُوتيَ من عزيمة في الوصول إليها مهما كلفّه ذلك من التضحيات الجسام.

إذاً: فتحديد الهدف أمر ضروري ولا مناص من ديمومة استحضاره في القلب حتى يفيض الأمل والطاقة والحيوية على سالكي هذا الطريق المبارك وفي نفس الوقت أن الشعور بقدسية الهدف يجعل الفرد أكثر انضباطاً في سلوكه العملي والأخلاقي، لأنه يسعى في الانتساب الى صرح عظيم ذا مكانة وقدسية كبيرة في الدين والمجتمع فمن الآن يراقب تصرفاته وقراراته وتحركاته.

وبعد تحديد الأهداف المباركة وضرورة هضمها وفهمها، فلابد أن يتذكرها طيلة مسيرته التبليغية والارشادية والتوعوية والتربوية حتى لا تتغير بوصلته إلى أغراض منافية لما تعهّد به في بداية مسيرته الرسالية فلا ضمان للمرء بحسن العواقب مهما ظن انه لديه فوارق كثيرة يختلف بها عن أقرانه في هذا الطريق

لأنه طريق شديد المزالق و تتقاذف عليـــه المغريات والفتن من كل حدب وصوب، فالنفس المريضة بعد أن اكتسبت من العلم شيئا تحاول جاهدة تبرير سلوكها بالبراهين النظرية الكاذبة، وهذه الحقيقة جلية الوضوح ومتحققة الوقوع، فهناك من تقمص ما ليس له، وتنصل آخر عن القيم وراح يبحث عن الفتات الزائل، وأصبح آخر رهينة غيره يقول ما يُملى عليه وإن كان خلاف الحـــق.

إذاً: فعلى الوالج في هذه الدوحة المباركة أن يعي الغرض والهدف الصحيح، فليس من الراجح عقلاً أن ينشغل بالوسيلة مهما كانـــت مقدسة بينما هو غافل عن غاياتها الحقة، أو – لا سامح الله – يضع له أهدافا دنيوية من الشهرة والسمعة والإجلال والمناصب والزعامات وإن كان ظاهرها دينية فهذه كلها شِراك ابليس اللعين.

المقدمة الثانية: إخلاص النية

فبعد تحديد الغاية والهدف الحق، وهي المعرفة الصحيحة والمطلوبة فيجب بعد ذلك إخلاص النية فيه لله، كمعرفة أهمية

وضرورة الصلاة في مرحلة سابقة، ثم الإتيان بها بإخلاص وقصد القربة إليه.

ومن الواضح أن الهدف مهما كان مقدساً وذا قيمة كبيرة عند الله فلا ينال حظه وفيوضاته ما لم يخلص طالبُه النوايا الحسنة لربه وما ترآى لطّالب من المعارف النظرية أنها حسنة عند اكتسابها فهي يقينا قشرية وصورية لا قيمة لها إذا ما خلت من النية الخالصة ولذا ورد في مظانها الذم للقارئ القرآن، وقائم الليل، والصائم، وغيرهم لانتسابهم لهذه الفضائل والقيم ظاهراً، ومجانبتهم مضامينها واقعاً.

فإن روح العمل وخاصة في مسائل الدين إنه يمتاز بالقيمة والقبول إذا خُلص من الأغيار والإشراك كالرياء والشهرة والمنصب فهذه الأمراض تُعدّ مخالفة لما هو مقرر وثابت قبل الشروع به من لزوم الإخلاص في العمل لله.

وتظهر حقيقة الإخلاص عند الاحتكاك بالعمل الاجتماعي وذلك حينما يبذل العبد غاية المجهود وفي شتى المجالات من دون ان ينتظر الشكر والعطاء او الثناء من احد!! بل يشكر الله أنَّه وفِقّ لخدمة المجتمع بهدايتهم وقضاء حوائجهم وإصلاح ذات بينهم ووأد الفتن، ولم يستغل ضعفهم واحتياجهم في خدمة نفسه

بأي مبرر قد تتذرع به النفس ولو كان مباحا او شرعيا، بل سخّر نفسه وإمكانياته المادية والعلمية والاجتماعية في خدمتهم، ويشعر في قرارة ذاته أنه مقصرٌ بحقهم ان مثل هؤلاء الشريحة المصلحة والمتفانية في ذات الله حاضرة في الميدان، وتعمل في ليلها ونهارها ولكنها تبتعد عن الظهور أمام الآخرين، لكراهية أنفسهم لذلك، خشية من إبطال العمل بالرياء والعجب الخ.

فمن هؤلاء الصفوة يتقبل الله العمل ويبارك فيه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[2]

وفي خضم هذا المعترك الصعب تُبان حينها حقيقة الاخلاص لأنَّ الاخلاص ليس شعاراً او كلمات رنانة تُقال على المنابر أو تُكتب في المقالات والمنشورات، فقد يكون القائل ذا تأثير كبير في النفوس حينما يكلمهم عن الإخلاص وغيره لكنه يضعف أمام المغريات.

إنما الإخلاص هو فعل وتفاعل على أرض الواقع، وروى علي بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام يقول: قَالَ

(١) سورة المائدة آية ٢٧.
(٢) سورة الشورى آية ٢٣

اللَّهُ أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ مَنْ أَشْرَكَ مَعِي غَيْرِي فِي عَمَلِهِ لَمْ أَقْبَلْهُ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصاً)(١)

إذن: فالإخلاص من أدق الأمور وأشدها تطبيقاً، فلو دقق المرء في بواطن نفسه ونياته قد يجد هنالك غِباراً وترسبات عالقة من هنا وهناك على صفحات قلبه ليست لله ولكن كانت النفس تخادع وتتجاهل، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُون﴾(٢) قال تعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٣).

المقدمة الثالثة: السعي لتحقيق الهدف

فبعدما نال رجل الدين قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، عليه أن يسعى سعيه الحثيث في أداء وظيفته التبليغية والرسالية، ويستغل كل فرصة سانحة يمكن من خلالها إقامة الحدود، وإرشاد المجتمع، من دون ضياعها واهمالها، بل عليه أن يثبت لياقته

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص: ٦١.
(٢) سورة يوسف آية ١٠٦.
(٣) سورة الكهف آية -١٠٤.

وجدارتـه وذلـك بطـرح المواضـيع التـي تمـس واقعهـم، وتحـل مشاكلهم الخ.(١)

وفي نفس الوقت عليه ان يكون ذلك الطبيب الدوار بطبه كما كـان رســول الله ﷺ ((طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ ...)(٣) .

ولا يكتفي بانتظار الدعوات من هنا وهناك، بـل المفـروض أن يثبت موقعه العلمي والفكري والاجتماعي بما يمتلـك مـن أدوات التواصل، ولو بقلمه الواعي، وبلسانه الصادح عن الحق، وفي طرق التواصل الاجتماعي بأنواعها وبكل وسيلة يمكن استغلالها في بث المواضيع ذات صلــة بهموم الناس وتطلعاتهم المشروعة.

فالتوفيق والنجاح في العمل الرسـالي والتبليغـي يتوقــف علـى النوايـا الصادقة، والمساعي الجادة، والإصـرار، وتحمـل الصـعاب، وعدم اليأس، والاستسلام قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) (٢)

---

(١) نهج البلاغة – ط دار الكتاب اللبناني المؤلف: السيد الشريف الرضـي، الجـزء :١ ص: ١٥٦.

(٢) سورة الإسراء، آية ١٩.

والله إذا علم من عبده النية الصادقة في هداية العباد، ولم يرجُ منهم جزاءً ولا شكوراً ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾(١) .

فسوف يمده بالتوفيق، ويذلل له الصعّاب، ويفتح له ابواب النجاح والفلاح، لأنه هو الآمر بهذه الدعوة المباركة وختمها لهم بالفلاح يقول تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾(٢)

فان الثمار والنتائج الإيجابية المرجوة من رجل الدين هي تعتمد على مدى تفاعله مع الأحداث والأزمات، والشعور بمسؤوليته، في أداء وظيفته، والسعي في تحقيق غرضه، في إيجاد الحلول الناجعة لها، حتى يتم معالجتها، فان رجل الدين له مكانة وحظوة في المجتمع، وكلامه مؤثر فيهم، وخاصة اذا كان ذو سمعة وأخلاق طيبة، وعقل راجح، وفكر ثاقب، فهذه عوامل مؤثرة وفاعلة في تحقيق الغايات المرجوة.

---

(١) سورة الإنسان، آية ٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

المقدمة الرابعة: الشعور بالمسؤولية

من أهم أولويات رجل الدين خلال مسيرته التوعوية والتبليغية بعد تحمله الأمانة الإلهية هي استدامة الشعور بالمسؤولية وذلك بإرشاد الناس والدفاع عن حقوقهم المشروعة، فإنَّ صفة رجل الدين ليست امتيازاً وتفاخراً بقدر ما هي مسؤولية كبيرة أمام الله قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1].

وخاصة اذا ظهرت البدع، وانتشر الفساد، وعلا صوت الباطل فتكون المسؤولية آكد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله: ((إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ))[2].

وروي عنه صلى الله عليه وآله: ((إذا ظهرت البدع ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فلينشره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد))[3]

وعن الصادقين عليهما السلام أنهم قالوا: ((إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُلِبَ نُورَ الْإِيمَانِ))[4].

---

(١) الصافات، آية ٢٤.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٥٤.

(٣) نقله الريشهري في (ميزان الحكمة ج١ ص٢٣٨) عن (كنز العمال : ٩٠٣).

(٤) وسائل الشيعة، ج١٦، ص: ٢٧١.

إَّن الشعور بالمسؤولية يفيض طابعاً من الحركة والنشاط والحيوية على النفس ويزيدها ثباتاً وإقداماً على نشر راية الحق والاصلاح، ولا تأخذ صاحبها في الله لومة لائم.

وأنَّ التقاعس والتقصير إن وقع تجاه المجتمع والدين فهو راجع الى عدم الشعور بالمسؤولية وعدم تحمل الامانة الالهية.

إنَّ رجل الدين يجب عليه أن لا يقنع بلباسه الديني أو بالألقاب المرموقة ويهمل وظيفته الربانية في إصلاح المجتمع وهدايته قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((أأقنع من نفسي أن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خُلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المَربوطة همّها عَلَفُها، أو المرسلة شغلُها تقمُّمها، تكتَرِش من أعلافها، وتلهو عمّا يُرادُ بها، أو أترك سُدىً، أو أُهمَلَ عابثاً، أوْ أجّر حبل الضّلالة، أو أعتَسِف طريق المتاهة)).[(١)]

هذا النَفَس الإلهي هو نابع من الشعور والإحساس بالمسؤولية تجاه ربه والدين والمجتمع، وفي موقف آخر قال عليه السلام: ((أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ

(١) نهج البلاغة – ط دار الكتاب اللبناني المؤلف: السيد الشريف الرضي، الجزء :١ ص: ٤١٨.

بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ))((١))

ومن جهة اخرى نلاحظ الترغيب والحث من قِبل أهل البيت على كفالة أيتام آل محمد صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ، قال الإمام محمد بن علي الجواد عَلَيْهِالسَّلَامُ: ((مَنْ تَكَفَّلَ بِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ الْمُنْقَطِعِينَ عَنْ إِمَامِهِمْ، الْمُتَحَيِّرِينَ فِي جَهْلِهِمْ، الْأُسَارَى فِي أَيْدِي شَيَاطِينِهِمْ وَفِي أَيْدِي النَّوَاصِبِ مِنْ أَعْدَائِنَا، فَاسْتَنْقَذَهُمْ مِنْهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حَيْرَتِهِمْ، وَ قَهَرَ الشَّيَاطِينَ بِرَدِّ وَسَاوِسِهِمْ، وَقَهَرَ النَّاصِبِينَ بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَدَلَائِلِ أَئِمَّتِهِمْ، لِيَحْفَظُوا عَهْدَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ بِأَفْضَلِ الْمَوَانِعِ ، بِأَكْثَرَ مِنْ فَضْلِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ وَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَ الْحُجُبِ على السَّمَاءِ، وَ فَضْلُهُمْ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَخْفَى كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ))((٢))

إذاً: فالمسالة ليست اختيارية أو مزاجية كما قد يتصورها البعض إنما هي وجوبية وضرورية لا مناص من إيفاء حقها، لأن

(١) نهج البلاغة – ط دار الكتاب اللبناني المؤلف: السيد الشريف الرضي، الجزء :١ ص: ٥٠.

(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج١، ص: ١٧ و بحار الأنوار (ط – بيروت)، ج٢، ص: ٦.

التقصير بالواجب المعهود، مدعاة الى تسلط الظالمين، وأهل البدع والمنتفعين، وسحق كرامة المؤمنين، وإضاعة حقوق الآخرين، وبالتالي يؤاخذ المقصرين.

وكم رأينا وسمعنا تنصّل البعض عن مسؤولياتهم الشرعية والأخلاقية بحجج واهية حتى يقنعوا انفسهم بها، وما كان ذلك إلا هروباً من أداء المسؤولية، وركونا إلى الدعة والراحة، وتجنبا من المشقة والأذى.

المقدمة الخامسة: تحمل المسؤولية

إنَّ من لوازم من تلبّس بلباس الزي الديني أن يتحمل المسؤولية التي انيطت في عهدته من إرشاد وتفهيم المجتمع، وتبليغ أحكام الدين، وإعانة المساكين، وعقد المجالس، وإقامة الصلاة في المساجد الخ.

لا أن ينزوي على نفسه، وبالتالي سيمتنع عن مخالطة المجتمع مما يؤدي الى عدم اقامة واجباته ووظائفه - كرجل دين - على أتمّ وجه، وخاصة حينما يمر المجتمع الاسلامي بأزمات وتحديات كبيرة تتطلب مضاعفة الجهود، والعمل الدؤوب، والثبات أمام الصعاب لأن المجتمع في هذه المرحلة في أمس

الحاجّة إلى حضوره، والتفاعل معهم وعضدهم، وحل مشاكلهم بطرق سليمة لا تؤدي إلى الخروج عن أحكام الدين الإسلامي.

إذن: على رجل الدين أن يتحمل كافة المسؤولية تجاه المجتمع بما يمتلك من طاقات وإمكانيات فلا يبخل بشيء يؤدي الى نفعهم، ورفع الاذى عن كاهلهم، ومؤازرتهم ومواساتهم، وإخراجهم من الحيرة والعمى الى الهدى حتى يخرج نفسه عن عهدة المسؤولية أمام الله.

ومن الواضح أنَّ رجل الدين إن جمع العلم والأخلاق فإنَّه يفتقر الى عنصر مهم وهو العمل الاجتماعي حتى يؤدي رسالته ودوره الفاعل في المجتمع، فالطبيب لا يكتفي أن يتخرج من أرقى الجامعات ويحصل على أعلى الشهادات، ثم يكون حبيس الدار ويكتفي بالتفرج والنظر الى المرضى وهم في أمس الحاجة إليه لإنقاذهم، فلا شك أن مثل هذا الطبيب يعد في نظرهم مقصراً وخائناً للأمانة التي تحملها، ومهما حاول الطبيب أن يبرر موقفه هذا فهو عندهم بملوم، وإن كانوا مقصرين في حقه، فإن كل فرد عليه أن يعمل بوظيفته الدينية والانسانية والاخلاقية تجاه الآخر من دون تعليلها بشيء، فقد عاتب الله نبيه يونس لما ذهب مغاضباً على قومه لما رآهم لا يستجيبون لدعوته، ولم يرعوا مكانته

ومنزلته، فتركهم ورحل عنهم!! ولكن الله يعلم أنَّ الأمل لم ينقطع بعد!! فرجع إليهم مع جراحه فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا قال تعالى :﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾.[(١)]

(١) سورة يونس، آية ٩٨.

المبحث الثاني

المسؤولية العلمية

المطلب الثاني: النتائج السلبية عند فقدان العلم:

- الأولى: القول بغير علم
- الثانية: عدم استيعاب الموضوع بصورة صحيحة
- أسباب عدم استيعاب الموضوع بصورة صحيحة
- الثالثة: الابتعاد عن المسائل الجوهرية
- الرابعة: اللحن في الكلام
- الخامسة: تكرار المواضيع المطروحة
- أسباب تكرار المواضيع المطروحة
- السادسة: القرارات والنصائح الخاطئة

المسؤولية العلمية

لا شك أن رجل الدين أو قل المبلغ بصورة عامة يرتكز على دعامتين أساسيتين وهما: (العلم والأخلاق) ومن خلالهما يبدأ بالانطلاق نحو العمل الاجتماعي من أوسع أبوابه ولا يغني أحدهما عن الآخر فلا العلم يغني عن الأخلاق ولا الأخلاق تغني عن العلم فأحدهما مكمل للآخر، وأن المجتمع بحاجتهما معاً في شخصية رجل الدين.

ولذا إن حصول الاخفاق أو الانتكاسة من بعض رجال الدين في عملهم الاجتماعي هو راجع الى انتفاء أحدهما أو كلا هذين العاملين.

إذن فالتعبئة العلمية جد ضرورية بل هي الأساس مع الأخلاق لتحقيق المراد والغرض منها، لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه؛ لأنه مفقودٌ.

ومن الغريب والعجيب أن يكتفي طالب علم، بدراسة يسيرة في الحوزات أو المدارس الدينية ثم يسعى لتحمّل وتقلّد المسؤولية في مواجهة المجتمع مع حيثياته المختلفة واحتياجاته المستمرة وتطوراته المتجددة!! وكان ينبغي التريث مدة معتدة بها، ويشار بعلمه من خلال أساتذته الموثوقين، بأنه على قدر

المسؤولية لكي يقي نفسه والاخرين من التبعات المتوقعة في مسيرته التبليغية والإرشادية.

ولذا نلاحظ القران الكريم يؤكد على أهمية العلم ودوره الفاعل والحيوي في المتصديين لتربية وهداية الامم قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[(١)]، وقال تعالى ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[(٢)]، وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وكذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.[(٣)]

النتائج السلبية

وما دمنا نتحدث عن المسؤوليات المطلوبة في شخصية رجل الدين ومن ضمنها المؤهلات العلمية، وقد عرفنا ما مدى أهمية العلم في العمل الرسالي التبليغي في المجتمع، لا بأس أن نذكر بعض المحذورات والسلبيات التي هي متحققة الوقوع عند خلو المبلغ من التعبئة العلمية المطلوبة في شخصيته في الأحكام

---

(١) سورة طه، آية ١١٤.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٤٧.
(٣) سورة يوسف، آية ٢٢.

والمعارف والأصول الدينية إذا ما تصدى وانبرى للمجتمع، والتي لابد من تجنبها، وبخلافها سوف يضر أكثر مما ينفع، ويفسد أكثر مما يصلح، ويكسر أكثر مما يجبر.

فنشير الى جملة من تلك السلبيات:

السلبية الأولى: القول بغير العلم

إن من الواضح أن رجل الدين عرضة للسؤال في أية لحظة؛ لأنه بتلبسه الزي الديني قد جعل نفسه عرضة للسؤال من قِبل الاخرين، ومجيباً لهم فيما يطرحون عليه فإذا لم يكن حامل علم فأما أن يمتنع عن إجابتهم، وهذا مخالف لما كانوا يرجون منه لأنه يدعي العلم بعد تلبسه لباس الدين، وإما أن يجيبهم بغير علم وهي الطامة الكبرى.

ولذا تجد البعض لكي يتخلص من الإحراج وخاصة إذا طرح عليه السؤال بين حشد من المؤمنين تراه يأخذ يميناً وشمالاً بعيداً عن الجواب المطلوب في سبيل الفرار من الإحراج حتى ينتهي به المطاف الى القول بغير علم. فعن زرارة بن أعين قال:

((سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ أَنْ يَقُولُوا مَا يَعْلَمُونَ وَ يَقِفُوا عِنْدَ مَا لَا يَعْلَمُونَ)).[(١)]

فالقول بغير علم، وعدم الوقوف عند الجهل به هو تضييع حق الله تعالى المعهود في ذمة العباد.

وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال تعالى:))قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِيَّاكَ وَ خَصْلَتَيْنِ فَفِيهِمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِيَّاكَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ أَوْ تَدِينَ بِمَا لَا تَعْلَمُ)).[(٢)]

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ وَ لَحِقَهُ وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِفُتْيَاهُ)).[(٣)]

إذن: فالمجيب بغير علم مع قصده وعلمه بأن جوابه لا ينم عن علم وغير مصيب لما هو مقرر في مظانها في بطون الكتب هو تجرأ على حق الله، وهذا التجّوز الصريح مردّه الى التقصير بادئ ذي بدء حينما تصدى للمسؤولية تجاه المجتمع ولم يعر اهتماماً

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٤٣.
(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٤٢.
(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٤٢.

بالمسؤولية الأولى وهي التعبئة العلمية فكانت النتيجة متوقعة كما أسلفنا.

فعلى المبلغ الرسالي أن يتحصن بالقدر الكافي من العلم والمعرفة بحيث يمكنه في الغالب أن يجيب إذا سئل، أما الإحاطة التامة بتفاصيل ما هو داخل في اختصاصه، فهو أمر لا يناله إلا النوادر.

ويدخل في ضمن القول بغير علم هو اختلاق القصص والحكايات التي لا واقع لها، ثم يدعي وقوعها بحق إمامنا الحسين وأهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء بداعي ابكاء الحاضرين ولو بهذه الوسيلة الخاطئة وبعض هذه المختلقات لا يستسيغها عقل السامعين من الموالين فضلا عن غيرهم لما فيها من المبالغة المفرطة أو معارضة للعقل والواقع.

مع التسليم أن فاجعة عاشوراء حدث استثنائي على مرّ التاريخ من الظلم والتمثيل والتشفي بعترة النبي صلى الله عليه وآله حيث وقعت بحقهم جرائم يندى لها جبين الانسانية، ولكن مع ذلك لا يسّوغ ولا يبرر للمّبلغ أن يختلق القصص التي لا واقعة لها بحجة إدرار الدموع على مصائب أهل البيت عليهم السلام، فالغاية لا تبررها الوسيلة الخاطئة، والبعض من هؤلاء مع علمه المسبق أن ما يقوله هو

اختلاق شخصي لكنه يستعمل هذا الأسلوب الخاطئ حتى يقال أن مجلسه حزيناً وكلامه مؤثرً حيث استطاع أن يجهش الناس بالبكاء والنحيب !! وناهيك عن المآرب الأخرى التي لا تخفى على البصير.

ومن المصاديق والأمثلة المشهودة واقعاً وتدخل في دائرة (القول بغير علم) هو تلقّف القصص والحكايات عن طريق المرئيات والمسموعات أو من بعض الكتب والمخطوطات من دون فحص وتتبع ودراية إنما تؤخذ على نحو المسلمات الحتمية ثم تلقى على مسامع الحاضرين، وحينما تبحث عن دليلة بعضها لا تجد لها مصدراً موثوقاً إنما هي من المستحدثات ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾((١))

إذن: فالتحري عن مصادر الحوادث، والتورع عن اختلاقها هي من أهم المسؤوليات التي لا ينبغي الاستخفاف بها قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾((٢)).

(١) سورة ص، آية ٧.
(٢) سورة ق، آية ١٨.

السلبية الثانية: عدم استيعاب الموضوع بصورة صحيحة.

ومن النتائج السلبية هو تحمل المسؤولية من قِبل بعض المتصديين للعمل الاجتماعي، قبل بلوغ المستوى المطلوب من التعبئة العلمية المرجوة، والنضوج الفكري، من إقامة المجالس، وإلقاء الخطب، والكلمات في المناسبات الدينية والاجتماعية.

وهذه الخطوة الغير مدروسة والتي لا تنمّ عن الشعور بالمسؤولية الكبيرة من هذا التصدي فإنها سوف تفرز نتائج وخيمة، فقد توجِد الشبهات والردود السلبية بسبب عدم استيعاب ومعالجة الموضوع المراد طرحه بصورة صحيحة على مسامع الناس وذلك لأسباب عديدة:

أسباب عدم استيعاب الموضوع بصورة صحيحة

السبب الأول: قلة الشواهد والأدلة على الموضوع التي من شأنها تقوية وعضد الموضوع وتثبيته في عقول وقلوب المستمعين.

السبب الثاني: عضد الموضوع بالشواهد والقرائن والأمثلة لكنها ضعيفة وبعيدة التعقل ولا يتقبلها المتلقي ومن أمثلتها الدارجة عند البعض أن يستشهد على موضوعه بالأحلام والرؤى حتى يطول المقام كما سمعنا ذلك مراراً وتكراراً، أو الاستشهاد بالروايات الموضوعة والمنافية لصريح القرآن الكريم.

السبب الثالث: كثرة الاستطراد حيث ترى المتكلم يستطرد استطراداً فاحشاً، ويخرج بعيداً عن صلب الموضوع مما يؤدي الى تشتت الموضوع، وتشويش ذهن المتلقي، وبالتالي يخرج السامع بعد أن أشخص نفسه وعقله، أما بورود الشبهات في الذهن أو الخروج بحصيلة معرفية وفكرية ضئيلة جداً نتيجة هذا التصدي الخاطئ في غير أوانه.

ومن المعلوم أن الشبهات الفكرية لها تأثير خطير ومباشر في المسائل الاصولية لدى الانسان المؤمن وربما تبقى هذه الشبهات متجذرة في عقول الناس ويموتوا عليها، فكم من الشبهات والمعلومات الخاطئة موجودة في أذهانهم ويؤمنوا بها إيماناً صرفاً، ولا صلة لها في الدين الحنيف، حتى أن بعضها تحاول تغييرها وإصلاحها من أذهان الناس ولكن من دون جدوى

وفائدة؛ لأنها أصبحت متجذرة في عقيدتهم، بل المتعرض لها يعد في نظرهم خارجا عن الحق!

السلبية الثالثة: الابتعاد عن المسائل الجوهرية

وقد يكون المتكلم من أهل العلم لكنه يتناول المواضيع التي لا تمسّ حاجة الناس، وجوهر الوضع المعاش، فمن الواضح أن هنالك مسائل عديدة ومهمة ومفصلية على المستوى الشخصي والأسري والاجتماعي والسياسي الخ.

فالناس ترغب من المتصدي إيجاد الحلول الناجعة والتوجيه الصحيح فيما يخص وضعهم المعاش من الفتن والمحن وكيفية التصدي لها وما هي الأدوات والأساليب الصحيحة في مواجهتها والخروج من الإلزاميات والتحديات الراهنة، إما أن يبقى المتكلم يتحدث عن المواضيع الهامشية التي لا تنسجم مع ظروف ومتطلبات الناس أو يتناول المسائل التي أكل عليها الدهر وشرب فهذا خلاف المسؤولية والأمانة التي تحملها.

وهذا الأسلوب أحد أهم الاسباب التي تؤدي الى ابتعاد الناس عن المجالس وصلاة الجُمع، والمناسبات الدينية؛ لأنهم يرونها لا تحاكي معاناتهم ومشاكلهم الاجتماعية والفكرية. يقول الإمام

الصادق ﷺ: ((الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِس)) .[(١)] فالناس تريد من المتكلم أن يبين لهم ما يجري ويُحاك في زمانهم من الفتن والشبهات؟ حتى يعلموها!! وكيف تتم مواجهتها؟ وبالتالي لا تهجم عليهم اللوابس، ويكونوا في منأى ومأمن منها.

السلبية الرابعة: كثرة اللحن في الكلام

ومن المؤاخذات التي تؤخذ على المبّلغ هي كثرة اللحن في الكلام وخاصة عند قراءة الآيات القرآنية، مع العلم أن تعّلم القواعد العربية والتلاوة هي من المقدمات التي يدرسها الطالب عند دخوله الحوزة العلمية أو المدارس الدينية !! لكي تعصم لسانه من اللحن في الكلام.

فالمبلغ يواجه المجتمع بلسانه فليس من اللائق والصحيح أن يكثر اللحن فيه!! ومن المفترض ايضا ان يُعّلم الناس القراءة السليمة، والتلاوة الصحيحة عند توفر ظروفها وأسبابها.

اليوم بفضل الله تعالى يتسم السامع والمتلقي بالوعي والفهم خلافاً كبيراً عن الازمنة الغابرة؛ وذلك بسبب كثرة المجالس

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٢٧

والتوعية الدينية وكثرة وجود القنوات التي تساعد بشكل كبير وملحوظ في إيصال صوت الحق إليهم، حيث يمكن لكثير منهم تشخيص الأخطاء، ومعرفة أين مكامن الضعف والقوة في كلام الخطيب سواء في فحوى ومضمون الموضوع المطروح أو عند سرده الآيات القرآنية، ولذا تجدهم بعد أن ينتهي الخطيب تبدأ الاستفهامات والإشكالات والتنويه الى بعض الملاحظات، فهذا إنما يدل على النضج الفكري فيهم.

قلنا بهذه المقولة حتى لا يستخف البعض - لا سامح الله - بعقول الحاضرين، وينظر اليهم نظرة دونية.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن نضيف أيضاً أن اللحن يكثر بشكل كبير في المنشورات والإجابات والتعليقات على منصات التواصل الاجتماعي، حتى أن بعض المفردات من الأبجديات ومع ذلك تُكتب خلاف وضعها الصحيح والسليم وهذا مما يؤسف له حقيقةً، وناهيك عن ركاكة الكلام.

وأنا لست هنا في صدد الانتقاص - لا سامح الله - بقدر ما هو مؤلم، وله ردود سلبية، ومؤاخذات علمية، واجتماعية على الناشر مما لا يخفى على القارئ.

إنما نحن في صدد التنبيه الى الخلل لترميمه، والى الخطأ لتصحيحه وهذا لا يعني خلو المنصات في التواصل الاجتماعي بأشكالها المتعددة من المثقفين والواعين والمتعلمين من رجال الدين الذين يجودون بعلمهم وفكرهم الوقاد وقلمهم الواعي لخدمة الدين والمذهب في توضيح المسائل ودفع الشبهات والإجابة عن التساؤلات فهذا مما لا غبار فيه، فذكر شيء لا ينفي بالضرورة سواه.

السلبية الخامسة: تكرار المواضيع المطروحة

ومن السلبيات الشائعة لدى كثيرٍ من المتصديين تكرار المواضيع المطروحة في مجالسهم وخطبهم حيث بات المستمع يحفظ مواضيع المتكلم!! ويشعر أن الخطيب ليس لديه مواضيع جديدة ومؤثرة وفاعلة، وإنما يردد المحاضرات والخطب نفسها بين الحين والآخر حتى وصل الحال من البعض العزوف عن الحضور في المجالس وصلاة الجمع لوجود هذا الخلل.

وهنالك أسباب كثيرة أدت الى تكرار المواضيع المطروحة سابقاً سواء علم بها المتصدي أو لا:

أسباب تكرار المواضيع المطروحة

السـبب الأول: فقدان المؤهلات العلمية وقلة المطالعة والمتابعة في بطون الكتب فإن كثرة المطالعة والبحث والتدقيق يزيد من ثقافة رجل الدين ويعطيه زخماً كبيراً من المعلومات والمعرفة في شتى مجالات العلم وأما الاقتصار على بعض الخزين المتراكم في الذهن فلا شك أن الخطيب يبقى يراوح في مكانه من دون أي تطور ملموس على محاضراته وخطبه.

السبب الثاني: عدم الشعور بالمسؤولية تجاه وظيفته الدينية. فإنَّ (المنبر) له قدسيته ومكانته، والمستمعين لهم حقوق في ذمة المتكلم لأنهم قد أشخصوا أنفسهم، وأرعوا سمعهم، وضحَّوا بوقتهم، وأحسنوا به الظن فمن الواجب أن ينصفهم بما هو جديد ونافع.

السبب الثالث: التقليل من شأنّية المجلس أو المستمعين.

السبب الرابع: الكسل والإهمال والاعتماد على المحاضرات والمعلومات السابقة.

السبب الخامس: كثرة المجالس ممن يؤدي الى تضيق الوقت فيتسبب الى قلة المطالعة والتهيئة المناسبة وغير ذلك.

السلبية السادسة: القرارات والنصائح الخاطئة

ومن الإفرازات السلبية هي القرارات والنصائح الخاطئة وهذا بطبيعة الحال مظنون الحصول لأن صوابية القرار والنصيحة مردّها الى الوعي والفكر الثاقب لأن العلم يزيد في وعي الإنسان، والوعي والفهم يزيدان من احتمالية الصواب ويضيّقان دائرة الإخفاق.

فمن المسلمات لدى كافة الأمم أنهم يستنصحون ذوي العلم والحكمة للإحتمالية الكبيرة في النجاح والفلاح.

أما من لم يكن مؤهلاً للنصيحة، وعدم أهليته لاتخاذ القرار المناسب بسبب فقدان المؤهلات العلمية التي بدورها تُنضِج بشكل كبير عقلية الفرد، وتوسع إدراكاته الذهنية والعقلية، وتحيده عن الأخطاء في القرارات فإنها تُوقِع فاقدها في

محذورات كثيرة وكبيرة فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((لا تنتصح بمن فاته العقل)).[(1)]

وفي الجملة: نريد أن نقول: أنَّ (رجل الدين) معرَّض الاستنصاح من قبل الآخرين في أمور دينهم ودنياهم، وكذلك معرَّض لمواقف عديدة ومصيرية بسبب موقعه الديني والاجتماعي، يحتاج منه القرار الحكيم والنصيحة الصحيحة، وهذا يعتمد على الوعي والمعرفة الكافية لديه، أما من قلّ نضجه، وفكره، ووعيه، فهو من الصواب أبعد، وإلى الخطأ أقرب.

إذن: فالعلم قاعدة رصينة لرجل الدين ومنطلق لكل خير، له ولمن حوله، وأما إذا كان الأساس هشّاً وضعيفاً توالت عليه التبعات والإخفاقات وعلى من حوله.

ولذا فالمسؤولية كبيرة عليه من بادئ ذي بدء، وهو التحصن بالتعبئة المعرفية وإيجاد وتوفير المؤهلات العلمية، ولذا قلنا سابقاً: أن العلم دعامة أساسية للعمل الاجتماعي وبدونه أو بقلّته يكون التصدي والتبليغ محفوفاً بالأخطاء والمخاطر وصاحبه ملوماً غير معذور لأنه أراد قطف وجني الثمار قبل أوانها فكانت النتائج

---

(١) العقل والجهل من الكتاب والسنة - الريشهري - ص ٢٢٩.

مؤلمة، فالعلم جناح المبلغ يحلق به لينشر الخير في ربـوع البسـيطة وبدونه يبقى جامداً لا يحرك ساكناً.

المبحث الثالث

المسؤولية الأخلاقية

المطلب الثالث: مسائل ضرورية

- المسالة الأولى: إقامة المجاس
- المسالة الثانية: تفقد الفقراء والمساكين
- المسالة الثالثة: التورع عن الغيبة
- المسالة الرابعة: مشاركة المجتمع في أفراحه وأتراحه
- المسالة الخامسة: تفقد المؤمنين
- المسالة السادسة: خفض الجناح
- المسالة السابعة: الإسراع في الإجابة عن الأسئلة
- المسالة الثامنة: العدالة في صرف المال
- المسالة التاسعة: كظم الغيظ عند الاستفزاز
- المسالة العاشرة: الكلام على قدر العقول
- المسالة الحادية عشرة: عدم الاقتصار على صلاة الجماعة

المسؤولية الأخلاقية

وصلنا الى الدعامة الأساسية الثانية، ولابد من توفرها في شخصية رجل الدين وهي الدعامة الاخلاقية، ولا تكفي المؤهلات العلمية وحدها كما بيّناه سابقاً، وهذا واضح لدى الجميع، بل قد يُسخَّر العلم لمصلحة الدنيا إذا أنتفت الأخلاق.

وقد أثنى الله تعالى على نبيه بأحسن الثناء حينما قال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾((١)) وقد جعل من الثمار الأساسية من البعثة النبوية الشريفة تزكية النفس وتعليم الكتاب والحكمة وقدّم التزكية على التعليم قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.((٢))

وأَّن المجتمع الإنساني لَيَتفاعل ويتآلف مع صاحب الخلق أكثر مما ينسجم مع صاحب العلم. فقد ينفضُّ الناس من حول

(١) سورة القلم، آية ٤ .
(٢) سورة الجمعة، آية ٢.

أصحاب العلم إذا التمسوا منهم سوء الخلق في تعاملهم الشخصي والاجتماعي لأن دور ووظيفة رجل الدين هي تربية وتهذيب المجتمع، وأن الناس ينظرون الى جميع تصرفاته وتحركاته وقراراته، وأن صدور الخطأ وإن كان يسيراً وصغيراً - من رجل الدين - يُعدّ في نظرهم كبيراً لا يعذر فيه. ولذا كانت المسؤولية كبيرة على من يتصدى للتبليغ والإرشاد بأن يكون بقدر المسؤولية التي تحملها، وأنه مُراقَب من الجميع، والمراقِب لا يرحم ولا يتغافل ولا يعذر، فإنَّ غير رجل الدين إذا ارتكب المحذورات الكثيرة ورجع الى صوابه يعذره المجتمع عادةً، وهذا غير وارد في الغالب تجاه رجال الدين إذا ارتكبوا الصغيرة من الذنوب فما بالك بالكبيرة منها ؟؟ .

مع العلم أنَّ التحلي بالأخلاق الحميدة والتخلي عن الأخلاق السيئة هي مطلوبة على كل حال سواء اتصف بعنوان (رجل الدين) أو لا !! ولكن بعد تلبسه بالعنوان تكون المسألة آكد وأقوى.

وفي هذا الباب من المسؤولية الاخلاقية اللازمة في رجل الدين نذكر عدة ملاحظات للتنويه والتنبيه ومن باب ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذكرى الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾((١))

فنحن كناقل التمر الى هجر. عن ابي عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله خطب فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، فَقَالَ: ((نَضَّرَ اللَّهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى غَيْرِ فَقِيهٍ)).((٢))

وقال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾((٣))

ولكن هنالك عدة مسائل أخلاقية هي أكثر ظهور بل هي أكثر ابتلاءً - إن صحّ التعبير - لرجل الدين، نريد أن نسلط الضوء عليها دون غيرها فمن تلك الأمور:

المسؤولية الأولى: إقامة المجالس

تعد المجالس والمحاضرات التي تعقد في مناسبات اهل البيت عليهم السلام وايام شهر رمضان المبارك وغيرها من أبرز

(١) سورة الذاريات، آية ٥٥.
(٢) الامالي للمفيد ج ١، ص ١٨٥.
(٣) سورة النجم، آية ٣٢.

وأوضح الأدوار والمهام التي يقوم بها رجل الدين وهي بلا شك دور حيوي بامتياز وهي من أبرز مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويعدُّ المنبر الحسيني أكثر الأنشطة التي لها التأثير والفاعلية في المجتمع؛ حيث يستقطب الجماهير من كل حدب وصوب على مدار السنة لإقامة العزاء على سيد الشهداء وأهل بيته(عليهم السلام) وأخذ المواعظ والدروس الاخلاقية والتربوية.

وبما أنَّ رجل الدين تقع على عاتقه مسؤولية كبيرة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الناس ووعظهم بالتي هي أحسن فيعد (المنبر الحسيني) وسيلته البارزة والمهمة، ونقطة انطلاقه نحو العمل الرسالي فلا يمكن التفريط فيه والزهد به تحت أي مبرر.

ولكن – مع الأسف – قد يمتنع البعض من إقامة الوظيفة الربانية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العزاء على سيد الشهداء بدواعي وأسباب دنيوية بحتة نذكر منها مثالين:

دواعي الامتناع من إقامة المجالس

الأول: اشتراط قيمة مالية معينة، ويقوم بتحديدها كشرط أساسي على صاحب المجلس فإن وافق حضر وإن لم يوافق رفض عن إقامتها.

أقول: هل من المعقول أن تتحول مجالس العزاء التي هي من أعظم القربات الى الله تعالى وأهل البيت(عليهم السلام) الى صفقة تجارية يساوَم عليها؟؟ وهل من اللائق أن يصبح دم الحسين وأهل بيته مورد تجارة من بعض من يدعي أنه من أتباعه؟ فيالها من تجارة خاسرة!! ويا ترى من أشترط الأجرة هل يتوقع أن ينال الأجر؟؟ فمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ((يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ. وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يَا كُمَيْل بْن زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ اَلعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْل بْن زِيادٍ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ)).[(١)]

الثاني: قلة الحضور، فقد يمتنع البعض من إقامة المجالس ويرفض دعوة الموجهة له بسبب قلة الحاضرين؛ لأنه يشعر أن ذلك المجلس لا يتناسب مع شخصيته ومكانته الاجتماعية والعلمية أو أن محاضراته ذات قيمة عالية لا تنسجم مع هذا الحضور لذا يرفض الدعوة المؤمنين الموالين.

من الواضح أن هذا التصرف غير صائب والسبب المذكور لا يرفع المسؤولية من قبول الدعوة وإقامة المجالس حباً لأهل البيت عليهم السلام.

ثم أنَّه على المؤمن أن يبتغي رضا الله تعالى بغض النظر عن القلة أو الكثرة بل إنَّ حضور الخطيب البارع المخلص في أماكن يتواجد فيها القلة يساهم بدرجة كبيرة في كثرتهم ويفيض أجواء روحية على المجالس.

(١) نهج البلاغة .....

يُنقل عن المحدث الكبير المرحوم الشيخ عباس القمي رحمه الله المتوفى سنة ١٣٥٩ هـ صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) أنَّه كان في درجة عالية من الإخلاص والتقوى وكان المؤمنون حريصين على أن لا تفوتهم الصلاة خلفه فانتهز المرحوم القمي رحمه الله هذا التعاطف لخدمة المساجد وإحياؤها وأعمارها فكان يقيم صلاته في إحدى المساجد القديمة المهجورة فيجتمع فيها المصلون وعندما يكتظ المسجد بالمصلين تقوم ثلة من أهل الخير فيهم بالتبرع لإعمار ذلك المسجد القديم وترميمه وما أن يتم بناؤه وإصلاحه حتى ينتقل سماحته إلى مسجد آخر لنفس الهدف وبهذه الطريقة أحيى المحدث القمي رحمه الله عدداً من المساجد المهجورة وملئها بالمصلين.

المسؤولية الثانية: تفقد الفقراء والمساكين

ومن المسائل الضرورية الشرعية والأخلاقية والتي ينبغي أن لا يغفل عنها رجل الدين هي مسألة تفقد الفقراء والمساكين، وقضاء حوائجهم وإعانتهم بما امكن وتيسر حتى يرفع المعاناة عن كاهلهم، وينفس عن كربهم.

وأن يقوم باستقصاء وجرد الفقراء واليتامى من أهل التعفف والفاقة من أهل محلته حتى يمدُّهم بيد العون بما تيسر من أمره، ولا ينتظرهم أن يطرقوا بابه ويسألونه عن حوائجهم بل هو من يسارع في طرْق أبوابهم بالمساعدة المالية والأشياء العينية.

إنَّ هذا الدور والعمل المبارك كم له من تأثير كبير في نفوس الفقراء من ثباتهم على دينهم، وتقوية إيمانهم، وتواصلهم مع رجال الدين، ودور العبادة والمناسبات الدينية بالخير والصلاح، وناهيك عن الثواب العظيم ورضوان من الله اكبر.

روي عن أبي حمزة الثمالي ((كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَحْمِلُ جِرَابَ الْخُبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِه)) [(1)].

روي عن رسول الله صلى الله عليه واله: ((مِنْ مُوجِبَاتِ مَغْفِرَةِ الرَّبِ إِطْعَامُ الطَّعَام)) [(2)]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: ((إنَّ الله عز وجل يحبّ اهراق الدماء وإطعام الطعام)) [(3)]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((المنجّيات إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٤٦، ص: ٨٨.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢٤، ص: ٢٩١.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٦، ص: ٣٣١.

والناس نيام))[(١)] .عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب فقال : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَ أَطِيبُوا الْكَلَامَ وَ أَفْشُوا السَّلَامَ وَ صِلُوا الْأَرْحَامَ وَتَهَجَّدُوا وَ النَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) [(٢)] بخلاف إهمالهم والتقصير بحقهم، وعدم السعي الجدي في توفير ما يرفع معاناتهم سوف يعكس حالة من النفور والانطواء على أنفسهم، ويكونون عرضةً لأعداء الدين، والمفسدين في الارض وناهيك عن المسؤولية والوزر الذي يتحمله من يقصر في حقهم.

المسؤولية الثالثة: التورّع عن الغيبة

تعد الغيبة من أعظم الذنوب المبغوضة عند الله تعالى ومع ذلك هي أكثر استخفافاً ورواجاً -وللأسف- بين الناس حتى أنَّ مؤتيها لا يشعر بالندم ووخز الضمير، بل يتفكّه ويتفاخر بها، ويعتبرها حديثه الممتع والمشوّق مع أقرانه اعاذنا الله منها.

وبما أنَّ رجل الدين بحسب موقعه الاجتماعي وإحتكاكه مع الناس في أماكن العبادة والأماكن العامة، قد يُجَرّ من حيث يشعر

(١) وسائل الشيعة، ج٩، ص: ٤٦٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢٤، ص: ٢٨٨.

أو لا يشعر الى هذا المستنقع الملوث بالمعاصي والمليء بالأفاعي والعقارب.

وإنَّ إبتلاء رجل الدين بهذا الداء الخطير ليس كابتلاء غيره من الناس بل له مضاعفات وتداعيات خطيرة على مكانة وسمعة الدين؛ لأنه أولى الناس بالورع وصيانة حرمة المؤمن من التجاور والانتهاك. وقد تتسبب الغيبة في انفضاض كثير من المؤمنين من حوله؛ لأنها لا تتناسب مطلقاً مع مكانته الدينية والاجتماعية، ويصغر قدره في أعينهم، ويذاع أمره بين الآخرين، وقد حذّر ونبّه القرآن الكريم نساء النبي من مغبَّة الخطأ الصادر منهن لعظمة موقعهن وقربهن من نبي الرحمة قال تعالى :﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ....يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ..﴾[1] .

إذن: فمن منطلق مسؤوليته الاخلاقية والشرعية يجب أن يكون حذراً من الوقوع في هذا الفخ المظلم، وأن لا يسمح بتداول الغيبة في المجالس وأماكن العبادة، وخاصة في محضره وتحت أية ذريعة كانت.

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٠وآية: ٣٢ .

بــل الواجــب أن يبــيّن لهــم شــدَّة بشــاعتها، وعظــيم جريرتها وعقوبتها، وأنها محبطة الحسنات، ومثقلة السيئات، الى غير ذلك.

المسؤولية الرابعة: مشاركة المؤمنين في أفراحهم وأحزانهم

ومن المسؤوليات الأخلاقية على رجل الدين هي المواصلة والمشاركة مع الناس في أفراحهم وأحزانهم وهمومهم حتى يبقى جسر المودة والتواصل بينهم ممدوداً.

فإنَّ ترك المواصلة معهم يُشعرهم بالزهد فيهم، وعدم الاهتمام بهم، ويتسبب إلى انفضاهم من حوله، وإعتكافهم على أنفسهم، وإبتعادهم عن أماكن العبادة، وإن كان هذا السبب لا يبرر لهم ترك بيوت العبادة بحجة أنَّ رجل الدين لا يديم المواصلة معهم، ولكن على كل حال أن هذا حاصل.

فكما يرغب رجل الدين بتواجد المؤمنين في المساجد والحسينيات ومشاركتهم وحضورهم في المناسبات الدينية المختلفة فينبغي الإهتمام بجانب المواساة والمؤازرة والتواصل مع المجتمع وهو من المصاديق والأمثلة الواضحة لقوله

تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[(١)] وقوله تعالى وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[(٢)].

المسؤولية الخامسة: تفقد المؤمنين

ومن المسؤوليات الأخلاقية التي ينبغي الاهتمام بها وعدم تجاهلها هي مسألة تفقّد المؤمنين، والسؤال عن أحوالهم وظروفهم وخاصة عند فقدانهم من الحضور في المساجد والحسينيات حتى يشعر المؤمن في نفسه، أنَّ رجل الدين مهتم به وغير غافل عنه، وأنَّ لديه حظوة ومكانة عنده، وهذا عامل حيوي في ديمومة التواصل بين المؤمنين، بخلاف التجاهل والتغافل فإنَّه يؤدي الى التقاطع والتباعد والهجران.

وهذا الأسلوب الأخلاقي - تفقد المؤمنين والمتابعة المستمرة - كانت من أخلاقيات النبي صلى الله عليه وآله حيث كان يتفقد المؤمنين، ويسأل عن أحوالهم ويزور مرضاهم ويقضي حوائجهم مع علو قدره وكثرة مشاغله ومسؤولياته، لكنه لا يتجاهل هذه المسؤولية الأخلاقية المهمَّة وكان صلى الله عليه وآله يعزّ عليه أن يرى المؤمنين في بلاء

(١) سورة الرعد، آية٢١.

(٢) سورة المائدة، آية ٢.

وحاجة ومعاناة ثم لا يُحرك ساكناً. قال تعالى:﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾[(١)] ونحن ملزمون بالتأسي به قال تعالى:﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٢)].

المسؤولية السادسة: خفض الجناح

ومن السمات الاخلاقية التي ينبغي تواجدها في رجل الدين هي خفض الجناح للمؤمنين والتواضع لهم حتى يشعروا أنه كأحدهم، وبالتالي لن يحسّوا بالحرج في سؤاله والتنفيس عن همومهم ومشاكلهم إليه، ومشاورته فيما يخص دينهم ودنياهم الخ.

وهذه الأخلاقيات المباركة لا تحطّ من منزلة فاعلها، بل تزيده محبة ومكانة في قلوبهم، وجميل الأحدوثة فيما بينهم، في حياته وبعد مماته، وهذا بخلاف من يتعامل معهم بالإستعلاء والتكبر، والجفاء والعبوس والسلام بأطراف الأصابع وعدم تلبية دعوتهم فإنهم ينفرون وينفضون من حوله؛ لأن هذه

(١) سورة التوبة، آية١٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية٢١.

الأخلاقيات تخالف الفطرة الانسانية، ولا تنسجم مع صفات رجل الدين من باب أولى كما هو واضح.

ولذا يصف القرآن الكريم نبيه صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

وهذه الأخلاقيات مطلوبة بوجه عام من المؤمنين بأن يتعاملوا فيما بينهم بهذه الأخلاقيات المباركة؛ لأنها تسمو بالإنسان وتعلو به في أعلى درجات الكمال والرقي ولعل الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله يشير الى هذه النكتة: ((من تواضع لله رفعه))[2] لكنها آكد في رجل الدين كما ذكرنا سابقاً.

وأنَّ هذا الخلق الرفيع له أثر كبير في استقطاب الناس الى الدين، والى مذهب أمير المؤمنين عليه السلام، وتقوية إيمان المؤمنين، والتأسي برجل الدين.

ومن يستقصي حياة النبي وأهل بيته يجد سمة التواضع هي البارزة في سلوكهم وأخلاقهم.

---

(١) سورة الشعراء، آية٢١٥.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ١٢٢

فمع علو شانهم المنيف، ومقامهم الشريف لا ترى ذرة من التكبر والأنفة في تعاملهم مع الناس بل حتى مع عبيدهم وخدمهم.

وهذا الخلق الرفيع لم يكن قط تصنعاً منهم ، أو مجاملة لغيرهم، بل كانت من سجيتهم وخلقهم، وقد وصف امير المؤمنين عليه السلام تواضع وزهد رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: ((ولَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى ألأرض ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ويَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَه ، ويَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَه ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَه، ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ، يَا فُلَانَةُ لإِحْدَى أَزْوَاجِه غَيِّبيه عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْه ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِه وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِه، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِه، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً ولَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، ولَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ)) (١)

ولذا كان لهذا الخلق الرفيع دور كبير في هداية الضالين من المشركين والكافرين، واستبصار المخالفين، بخلاف نقيضه من

(١) مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل، ج١٢، ص: ٥٥

التكبر والإستعلاء فإنّه يؤدي الى انفضاض الناس من رجل الدين، ودور العبادة وإستياء الناس منه .

إذن: فالتواضع عامل جد مهم في سلوك رجل الدين لما له من اثار عظيمة ، ونتائج مفيدة على المستوى الشخصي والاجتماعي لا يمكن الاستغناء عنه في اخلاق رجل الدين .

المسؤولية السابعة: الإسراع في الاجابة عن الأسئلة

ومن المسؤوليات الأخلاقية والشرعية في عهدة رجل الدين التي لابد أن يأخذها بعين الاعتبار والاهتمام هي الإسراع في الاجابة عن أسئلة المؤمنين وخاصة التي ترسل عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، لأنَّ كثيراً من تلك الأسئلة مهمة وضرورية ومصيرية وبعضها عبادية مؤقتة بزمن معين لا تتحمل التأجيل والتأخير.

والسؤال رزق معنوي ساقه الباري عز وجل فلا ينبغي التفريط به أو الإعراض عنه وتسويفه، وقد يفوت زمانه وظروفه فيفوت الخير الكثير.

وفي هذا المقام نتبرّك بكلامٍ لسيدتنا الزهراء عليها السلام قال الإمام العسكري عليه السلام: ((حَضَرَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ الصِّدِّيقَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ع فَقَالَتْ: إِنَّ لِي وَالِدَةً ضَعِيفَةً وَقَدْ لُبِسَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ صَلَاتِهَا شَيْ‌ءٌ، وَ قَدْ بَعَثَتْنِي إِلَيْكِ أَسْأَلُكِ.

فَأَجَابَتْهَا فَاطِمَةُ عليها السلام عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ ثَنَّتْ فَأَجَابَتْ، ثُمَّ ثَلَّثَتْ [فَأَجَابَتْ] إِلَى أَنْ عَشَّرَتْ فَأَجَابَتْ، ثُمَّ خَجِلَتْ مِنَ الْكَثْرَةِ، فَقَالَتْ: لَا أَشُقُّ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ.

قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: هَاتِي وَ سَلِي عَمَّا بَدَا لَكِ، أَ رَأَيْتِ مَنِ اكْتُرِيَ يَوْماً يَصْعَدُ إِلَى سَطْحٍ بِحَمْلٍ ثَقِيلٍ، وَ كِرَاؤُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، أَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: لَا.

فَقَالَتْ: اكْتُرِيتُ أَنَا لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ- بِأَكْثَرَ مِنْ مِلْ‌ءِ مَا بَيْنَ الثَّرَى إِلَى الْعَرْشِ لُؤْلُؤاً فَأَحْرَى أَنْ لَا يَثْقُلَ عَلَيَ))[1]

وإنَّ إجابة المؤمنين على أسئلتهم الفقهية والعقائدية والإجتماعية وإبداء النصائح والتوجيهات لهم، له أثر كبير في ديمومة التواصل معهم، وتقوية علاقة فيما بينهم، وإنتشالهم من الحيرة والجهل الى الطمأنينة والعلم.

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص: ٣٤٠

ومن الواضح أنَّ المؤمن حينما يسأل عن دينه في شتى معارفه المختلفة، وعن مسائله الإجتماعية لم يكن ذلك عن بطرٍ أو لهو وإنما دعت الحاجة الشرعية والظروف الإجتماعية الى ذلك وخاصة في المسائل العقائدية التي يتعرض لها المؤمن بين الفينة والأخرى في التواصل الاجتماعي والقنوات الاخرى التي تحاك ضد عقائده الحقّة والتي يراد منها زعزعته عنها عن طريق إلقاء الشبهات والمغالطات.

ومن هنا على رجل الدين أن يتصدى بكل حزم، وما أُوتي من علم، لهذه الشبهات ويرد تلكم المغالطات، ويجيب عن تلكم التساؤلات، ولا يهمل أو يسوّف أسئلة المؤمنين، فيكون مسئولاً عند رب العالمين قال تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مسؤولون)[(١)]

وروي عن الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام: ((مَنْ تَكَفَّلَ بِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ الْمُنْقَطِعِينَ عَنْ إِمَامِهِمْ، الْمُتَحَيِّرِينَ فِي جَهْلِهِمْ، الْأُسَارَى فِي أَيْدِي شَيَاطِينِهِمْ وَفِي أَيْدِي النَّوَاصِبِ مِنْ أَعْدَائِنَا، فَاسْتَنْقَذَهُمْ مِنْهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حَيْرَتِهِمْ وَقَهَرَ الشَّيَاطِينَ بِرَدِّ وَسَاوِسِهِمْ، وَقَهَرَ النَّاصِبِينَ بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَدَلَائِلِ أَئِمَّتِهِمْ، لِيَحْفَظُوا عَهْدَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ بِأَفْضَلِ الْمَوَانِعِ، بِأَكْثَرَ مِنْ فَضْلِ السَّمَاءِ عَلَى

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

الْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْحُجُبِ عَلَى السَّمَاءِ ، وَفَضْلُهُمْ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَخْفَى كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ)) (١)

ومن المعلوم أنَّ عدم الرد على أسئلة المؤمنين لها تبعات كثيرة، وسلبيات كبيرة ومؤاخذات وخيمة على السائل والمسؤول، فإما على السائل لإحتمال وقوعه في شراك وشبهات الملحدين والمخالفين، وأما على المسؤول لوقوعه في المعصية بتنصله عن المسؤولية.

إذن أيها العزيز: إنَّ مسؤولية رجل الدين كبيرة وعظيمة، والتنصل عنها ليست مسألة كيفية أو مزاجية، وبهذه السهولة والبساطة، إنّما هي أمانة الهية، علينا جميعاً تحمّلها، حتى نكون من أهلها.

المسؤولية الثامنة: العدالة في صرف المال

بمقتضى وظيفة وصفة رجال الدين تُعطى لبعضهم الأخماس أو الصدقات، أو التبرعات، حتى يصرفوها في مواردها الصحيحة على الفقراء واليتامى والمساكين وأعمال البر التي تكون مبرئة

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج١، ص: ١٧

لذمتهم؛ لأنهم مؤتمنون عليها، ولا فرق بين قليل المال وكثيره، وهذه العملية مع شرفيتها ومحبوبيتها لا تخلو من مثيلاتها من المسؤولية حيث يوضع القائم عليها في محك البلاء من المحسوبية والعلاقات والمصالح وغيرها من الأسباب يكون المؤتمن عليها في بلاء وأختبار عسير بين الدنيا والاخرة، وما حصل في الحادثة المشهورة بين أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه عقيل خير شاهد على المدعى!! مع العلم أن عقيلاً كان محتاجاً وضريراً ولم يدّع بطراً، ولكنه لم يُعطَ لأنه أستوفى حقه من العطاء وهنالك الكثير من أمثاله لم يستوفوا بعدُ.

فأذن من مسؤولية رجل الدين أن يكون حريصاً ودقيقاً وأميناً غير مطاوع لهواه، ولا متبع لمناه، ولا مائل لأحد دون سواه، إنّما كلهم عنده على حد سواء في العطاء، لا فرق بين البعيد والقريب ما داموا فقراء، قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١)

وقال تعالى ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾(٢)

---

(١) سورة الأنعام، آية:١٥٣.

(٢)سورة الشورى، آية:١٥.

المسؤولية التاسعة: ضبط النفس عند الاستفزاز

ومن موارد الإبتلاء لرجل الدين مسألة الإستفزاز من قبل الآخرين، ولم يكن وليد اليوم. فذلك الرجل الشامي الذي تجاوز على إمامنا الحسن عليه السلام وأظهر نصبه وبغضه، والآخر الذي استهزأ بالإمام الباقر عليه السلام، وكلا الأمران في مورد الإستفزاز والإختبار.

ولكن اليوم توسَّع وأستفحل مورده، بسبب تعدد وكثرة التواصل الاجتماعي مع الناس، وأنَّ رجل الدين مُعَّرض بين الفينة والأخرى لإستفزاز وتجاوز لاذع لا تكلّف الجاهل سوى رسالة نصية يقوم بإرسالها.

وهذا واضح لا غبار فيه، لكن الأهم يبقى دور المستفَز - بالفتح - أمام هذا التجاوز الصريح، فهل يتعاطى معه بالحكمة كما فعل الإمامان عليهما السلام قال تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف، آية:١٩٩.

أم يقابله بالمثل؟ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[١]، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[٢]،

أو يردّ الصاع بصاعين؟ ((إِنْ قُلْتَ وَاحِدَةً سَمِعْتَ عَشْراً)) [٣]

فمن الواضح أنَّ الأخير قبيح عقلاً، ومحرم شرعاً، والثاني وإن كان مباحاً شرعاً، ولكن تتقدَّمه محبوبية العفو، وهو المطلوب.

ثم مبادلة الجاهل بالمثل لا يحطّ من شأنه شيئاً؛ لأنه تحصيل للحاصل.

وحسبكموا هذا التفاوت بيننا

وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

وأما صدوره من ذوي المروة والفضل والعلم يعدُّ خِلّة وخروجاً عن طموح وهدف رجل الدين وهو التّرفُّع عن مقابلة الجاهل بالمثل ووجوب الظهور بأرفع الأدب وضبط النفس، وكظم الغيظ، وإن حصلت المثلية فهو خارج عن المألوف والمعتاد من رجل الدين، ولذا عقدنا هذا الباب للتنويه والتذكير،

(١) سورة الشورى، آية:٤٠.
(٢) سورة البقرة، آية:١٩٤.
(٣) بحار الأنوار (ط. مؤسسة الوفاء) ج١ ص٢٢٤.

بضرورة ضبط النفس وعدم الإنجرار نحو الإنتقام وضرورة اليقظة؛ لأن في أية لحظة هو مُعرَّض للاستفزاز والتجريح والتجاوز من القريب والبعيد.

وينبغي أن ننوّه الى كظم الغيظ عند إصرار البعض على الجدال السلبي الذي يحرم ممارسته، والولوج فيه، ووجوب الإعراض عنه لما له من آثار سلبية جانبية كثيرة على أخلاق المؤمن فضلاً على سلوك وأخلاق رجل الدين.

فإنَّ الجدال السلبي يُفضي أحياناً الى الغضب وثوران النفس والإنتقام فيكون رجل الدين في محل بلاء عسير، بسبب وجود عوامل الإستفزاز فيه، لا ينجو منه إلا ذوو النفوس الحليمة، والعقول اللبيبة، والقلوب السليمة. قال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[١]

المسؤولية العاشرة: الكلام على قدر العقول

إنَّ عقول الناس متفاوتة من حيث الإدراك والإستيعاب والقبول فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((ما كلم رسول الله

(١) سورة القصص، آية: ٥٥.

صلى الله عليه وآله العباد بكُنه عقله قط))[١]. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم))[٢]

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: ((قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام (الرَّجُلُ آتِيهِ وَأُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِي فَيَعْرِفُهُ كُلَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَسْتَوْفِي كَلَامِي كُلَّهُ ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيَّ كَمَا كَلَّمْتُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ! وَمَا تَدْرِي لِمَ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِكَ فَيَعْرِفُهُ كُلَّهُ فَذَاكَ مَنْ عُجِنَتْ نُطْفَتُهُ بِعَقْلِهِ، وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ فَيَسْتَوْفِي كَلَامَكَ ثُمَّ يُجِيبُكَ عَلَى كَلَامِكَ فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَقُولُ أَعِدْ عَلَيَّ فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ بَعْدَ مَا كَبِرَ فَهُوَ يَقُولُ لَكَ أَعِدْ عَلَيَّ))[٣].

إذن: هذه المسالة ثابتة بالوجدان والبرهان، وتشكل بدورها لرجل الدين ضابطة محورية عند حديثه مع جمهوره، بأن يدرك مدى إستيعابهم وتقبلهم وما يراد طرحه من البحوث والمعارف

---

(١) الكافي، ج٨ ص٢٦٨.

(٢) الكافي، ج١ ص٢٣.

(٣) الكافي، ج١ ص٢٦.

وجواهر الروايات ((فليس كل ما يعلم يقال))[1]؛ لأن ليس كل من سمعَ المتكلمَ فهمَ مقالَه، فربَّما يُشكك أو يُكذب به وهو من أصل الأصول عند أهله!!

ولذا ينبغي للمتكلم أن يعي هذه النكتة جيداً حتى لا تكون النتائج مخيبة وعكسية لما كان يرجو ويأمل من خطابه الصلاح والفائدة.

فكما أن موضوع الخطاب إذا كان ضعيفاً وركيكاً لا يلائم ذوي العقول النيرة والواعية؛ لأنه لا يرتقي لمستواهم الفكري، كذلك هو الحال بالنسبة لكنوز المعرفة، والنكات العميقة قد يعسر هضمها لمن لم يرتق بفهمه الى مستواها المطلوب، ولذا قد يكسر ويفسد في خطابه أكثر مما كان يرجو أن يجبر ويصلح.

وإن كان ولابد منها فتعطى المعرفة برفق وتدرج شفقة به كالطبيب الذي يصف للمريض الدواء ويأمره أن يأخذها على شكل مراحل ودفعات شفقة عليه حتى لا يفسد بدنه فما بالك بالعقل والقلب؟؟

(١) بحار الأنوار، ج٥٣ ص١١٥.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ((يَا عُمَرُ لَا تَحْمِلُوا عَلَى شِيعَتِنَا، وَارْفُقُوا بِهِمْ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَحْتَمِلُونَ مَا تَحْمِلُونَ)) [١] وعن عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَرَاطِيسِيِّ قَال: ((قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ إِنَّ الْإِيمَانَ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ، يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْدَ مِرْقَاة، فَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الِاثْنَيْنِ لِصَاحِبِ الْوَاحِدِ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْعَاشِرِ، فَلَا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَك، فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَك، وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَعْهُ إِلَيْكَ بِرِفْقٍ، وَ لَا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُ فَتَكْسِرَهُ، فَإِنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِناً فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ)) [٢].

فالمنبر والخطابة ليسا محلاً لإظهار العضلات، والتفلسف على المساكين الحاضرين من الناس بكلام يعسر هضمه وإدراكه.

فعلى الخطيب أن يكون على اطلاع بثقافة جمهوره، وعلى دراية بمدى ثقافتهم ومستواهم المعرفي ولو بصورة إجمالية حتى ينال بغيته، ويصيب هدفه، بإيصال ما يبتغيه الى مسامعهم وقلوبهم ويخرج بنتيجة طيبة، وثمرة مفيدة، وحصيلة جليلة.

---

(١) وسائل (ط. آل البيت ع) ج١٦ ص١٥٩.
(٢) الكافي، ج٢ ص٤٥.

المسؤولية الحادية عشرة: عدم الاقتصار على صلاة الجماعة

أتضح مما مرّ من الكلام أن وظيفة رجل الدين عامة وشمولية لا تختصر في مجال دون مجال وخاصة إذا ما توفرت الفرص والظروف، ولذا لا ينبغي الاقتصار على الصلاة الجماعة في المساجد والحسينيات مع إمكانية أن يساهم بأدوار كثيرة ومتنوعة من الوعظ والإرشاد وتبيين الأحكام والأصول ودفع الشبهات الخ.

وذلك بأن يستغل حضور المصلين ثم يشرع في بيان ما يراه مناسباً وما هو محل إبتلاءهم حتى يؤدي الأمانة الملقاة على عاتقه بصورة صحيحة وسليمة، أما الاقتصار على صلاة الجماعة – مع التسليم برفيع شأنها – فلا يعد ذلك المرجو من رسالته الإصلاحية.

المساجد لم تنشأ ليقتصر دورها في إقامة الصلاة، إنما هي مدرسة وصرح توعوي وتربوي وثقافي لتعاليم دين الله الحنيف، ومن خلاله تبدأ المسيرة الإصلاحية للمجتمع.

فمن الظلامة الكبرى بحق المساجد إذا ما حجمنا دورها بإقامة الصلاة بدقائق معدودة ثم تغلق أبوابها، ولم يُستفد المصلي

بموعظة أو مسألة عقدية أو فقهية قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[١]

- ولا شك أن عمارة المساجد هي أكثر سعة وشمولية فتشمل الصلاة وما يصدق عليه عمارة للمساجد، قال الإمام الحسين عليه السلام))قال رسول الله صلى الله عليه وآله (من أدمن إلى المسجد أصاب الخصال الثمانية: آية محكمة، أو فريضة مستعملة، أو سنة قائمة، أو علم مستطرف، أو أخ مستفاد، أو كلمة تدله على هدى، أو ترده عن ردى، وترك الذنب خشية أو حياء)) [٢]. وفي بعض مضامين الحديث فيه دلالة على ما بيناه آنفا.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٨١ ص٣.

المبحث الرابع

وظائف المبلغ

المطلب الرابع: كيف نواجه المجتمع؟

- اولا: خشية الله دون سواه
- ثانيا: اللين والحكمة
- ثالثا: مواكبة العصر
- رابعا: الحفاظ على النسيج الاجتماعي
- خامسا: روح الابوية
- سادسا: انشراح الصدر
- سابعا: التواصل والتعاون
- ثامنا: حسن الاصغاء وبذل الوقت
- تاسعا: المحاضرات التوعوية
- عاشرا: الترفع عن الاطماع
- الحادي عشر: المصداقية في القول
- الثاني عشر: قوة الشخصية

وظيفة المبلغ

لا شك أن وظيفة المبلغ والمربي من أشرف الوظائف، وأعظمها في الشريعة المقدسة، لما لها من نتائج كبيرة، وثمار كثيرة، على المستوى الديني والشخصي، والاجتماعي، والإنساني.

فان المبلغ والرسالي الذي يدعو الى الله تعالى قد جعل نفسه في مصاف الأنبياء والمصلحين الذين يبلغون رسالات ربهم، وهي بلا ريب وظيفة عظيمة ، وتكتسب عظمتها وشرفيتها من الأهداف والمقاصد ، المتوخاة والمرجوة منها قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (عليه السلام) : وأيم الله لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت).[2]

فالمبلغ والداعي إلى الله هو طبيب القلوب ، وهادي النفوس ، الذي يسعى جاهدا في اصلاح وهداية الآخرين ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ

---

(١) سورة فصلت اية ٣٣

(٢) ميزان الحكمة ج ٤ص٣٤٤٣

الْأَنْبِيَاء وَمِشْكَاةِ الضِّيَاء وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاء وَسُرَّةِ الْبَطْحَاء وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ .. طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَة)[1] وروي عن الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام: "مَنْ تَكَفَّلَ بِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ الْمُنْقَطِعِينَ عَنْ إِمَامِهِمْ، الْمُتَحَيِّرِينَ فِي جَهْلِهِمْ، الْأُسَارَى فِي أَيْدِي شَيَاطِينِهِمْ وَفِي أَيْدِي النَّوَاصِبِ مِنْ أَعْدَائِنَا، فَاسْتَنْقَذَهُمْ مِنْهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حَيْرَتِهِمْ، [2]

وَقَهَرَ الشَّيَاطِينَ بِرَدِّ وَسَاوِسِهِمْ، وَقَهَرَ النَّاصِبِينَ بِحُجَجِ رَبِّهِمْ وَدَلَائِلِ أَئِمَّتِهِمْ، لِيَحْفَظُوا عَهْدَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ بِأَفْضَلِ الْمَوَانِعِ، بِأَكْثَرَ مِنْ فَضْلِ السَّمَاء عَلَى الْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَ الْحُجُبِ عَلَى السَّمَاء، وَفَضْلُهُمْ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَخْفَى كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ") وسئل أبو عبد الله عليه السلام في قوله جل ذكره من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها الآية قال من أنقذها من حرق أو غرق فقلت انا

(١) نهج البلاغة
(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج: ١ / ١٧، لأحمد بن علي الطبرسي

نروى عن جابر عن أبيك أنه قال من أخرجها من ضلال إلى هـدى فقال ذاك من تأويلها.(١)

كيف نواجه المجتمع؟

ان مـن اولويـات وواجبـات المصـلح والمربـي والرسـالي أن يواجه المجتمع بكل ما أُوتي من علم، وثقافـة، ووعـي ، وأسـاليب وطرق مشروعة مختلفة، لأن المجتمع هو هدفه الـذي يسـعى إليـه لإصلاحه وتوعيته، ودفع الشـبهات التـي تواجهـه، وذلـك حسـب دائرة امكانياته، ووفق السعة التـي يمكـن ان يتحـرك بهـا، وينشـط فيها.

ولكـي يكـون ناجحـا ومـؤثرا وفـاعلا فـي المجتمـع، وتسـمع كلمته، وتـؤثر فـي قلـوب، وعقـول الآخـرين عليـه ان يعـي بعـض المقـدمات ويلتـزم بهـا إذا مـا اراد النجـاح فـي التـأثير فـي نفـوس الآخرين.

(١) جامع احاديث اهل البيت ج ١٤ص٤٦٢

اولا: خشية الله دون سواه

على المتصدي ان يخشى الله تعالى، ولا يخشى أحدا غيره من خلقه في تبليغ رسالته، وهداية مجتمعه، وإيصال قول الحق إليهم ، فلا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يجامل ، ولا يداهن على حساب الحق قالتعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.(١)

ان المبلغ صاحب رسالة عظيمة وهي هداية وتربية الآخرين، بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهذه الوظيفة الالهية لا تروق للجميع ، فما أكثر المعارضين والحاقدين الذين يقفون حجر عثرة أمام المصلحين ، لا همّ لهم سوى التشكيك ، والاعتراض ، والقاء الشبهات ، والمغالطات ، في سبيل زعزعة ، وارباك الوضع في المجتمع الإسلامي.

فبقوة الإيمان، والخشية من الله ، والوعي ، والجهاد ، يتم مواجهة هؤلاء ، فان المربي والمصلح يصدع بما امر الله ، وعين الله ترعاه ، وتحفظه من شر الماكرين قال تعالى ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ

---

(١) سورة الأحزاب اية ٣٩

وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[١] وقـال سـبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ..... ﴾[٢]

فطريـق الإصـلاح طريـق ذات شـوكة، ولـيس معبـدا بـالورود والرياحين، وان المصلح معرضٌ لشتّى أنواع الشدائد، والصعوبات والتحديات والاغراءات في مسيرته الإصلاحية، فلا مجال للتراجع والتقهقر والمجاملة، روي عن رسول الله (صلى الله عليه واله) – يـا عمَّاهُ، والله لَو وَضعوا الشَّمسَ في يميني والقمرَ في شمالِي علَى أن أتركَ هذا الأمرَ حتَّى يُظهرَه اللهُ أو أهلِكَ فيه ما تركُتُهُ .[٣]

اذاً فالتدرع بالخشية مـن الله تعـالى فـي تبليـغ الرسـالة الالهيـة، وهداية المجتمع، يعطي دافعا ايمانيا للإنسان المصلح فـي مواجهـة التحديات مهما قلت او كثرت.

ولذا تجـد الكثيـر مـن المصـلحين والرسـاليين يصـمدون الـى النهاية من دون اي تراجع عن هـدفهم المنشـود، بخـلاف الـبعض الذين يتنصـلون عـن مسؤولياتهم الدينيـة والاخلاقيـة والانسـانية،

(١) سورة الحجر اية ١٩٤
(٢) سورة الحج اية ٣٨
(٣) كتاب الغدير ج ٧ص ٣٥

ويتخلون عن وظيفتهم التبليغية إذا ما واجهوا بعض التحديات والانتقادات قال تعالى ﴿...إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً....﴾ (١) وقال سبحانه ﴿...أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢).

ولكن تنصّل البعض عن وظائفهم التبليغية يجب أن لا يكون عائقا أمام المصلحين والمربين في مواصلة طريق الحق، ولا يثبّط من عزائهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : "لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه) (٣)

ثانيا : اللين والحكمة في الموعظة

ولكن هذا لا يعني ان يكون المتصدي متهورا في أمره، ولا يدرس الأمور والحيثيات قبل انطلاقه في توعية غيره ، قال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي

(١) سورة النساء اية ٧٢
(٢) سورة التوبة اية ١٣
(٣) نهج البلاغة

هِيَ أَحۡسَنُۚ...﴾[١] وقال سبحانه ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[٢]

فأحيانا قد لا يحسن المبلغ التصرف في خطابه مع الجمهور ، فيكون كلامه جارحا ومعنّفاً بحيث يؤثر سلبا وليس إيجابا ولذا أُمرنا باللين في الموعظة والإرشاد ، والمعاشرة ، حتى تؤتي الموعظة والتربية أثرها في القلوب قال عز وجل ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ... ﴾[٣] روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما وضع الرفق على شئ إلا زانه ولا وضع الخرق على شئ إلا شانه، فمن أعطي الرفق أعطي خير الدنيا والآخرة ومن حرمه حرم خير الدنيا والآخرة)[٤] وقال النبي صلى الله عليه وآله: من مات مداريا مات شهيدا)[٥] .

ثالثا : مواكبة العصر

ومن الواضح ان رجل الدين أو المبلغ بصورة عامة عليه ان يواكب ثقافة عصره بكل سلبياتها وايجابياتها، ونقصد بالمواكبة

---

(١) سورة النحل اية ١٢٥
(٢) سورة طه اية ٤٣- ٤٤
(٣) سورة ال عمران اية ١٥٩
(٤) كتاب البحار ج ٧٢ ص ٥٥
(٥) نفس المصدر

ان يكون على دراية، واطلاع بثقافة عصره وزمانه ، لا أن ينخرط في سلبياتها.

والغرض من الاطلاع والمعرفة حتى يمكنه ان يواجه السلبيات والانحرافات التي تعارض قيم الاسلام بكل وعي وبصيرة روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): العالم بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس). [١].

وكلما تسلح المبلغ بالشمولية بالأحداث والتطورات التي تقع في زمانه استطاع أن يستفيد بما هو ايجابي في مسيرته التبليغية والتوعوية في مواجهة التحديات المختلفة، ويجد الحلول الناجعة للسلبيات الخطيرة حتى يتصدى لها ولأصحابها.

فالزمان ولود بكثير من الإرهاصات، والثقافات السلبية، والدعوات المنحرفة، والافكار الضالة التي تريد اضلال الناس، وتشويه سمعة الدين ومذهب الحق.

واليوم قنوات التواصل مع الناس كثيرة ، وسريعة الانتشار بحيث أن الشُبهة ، والشائعة الباطلة سرعان تتسع رقعتها في المجتمع كالنار في الهشيم، وهناك الكثير من البسطاء يفتقرون الى

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص١١٥٨

الثقافة الدينية والمعلومات الكافية، فيكونون لقمة سائغة ، لهذه السموم القاتلة.

وفي هذا المعترك الخطير يأتي دور رجل الدين في مواكبة هذه التحديات حتى يقوم بدوره بأتم وجه ، ولا يكون غافلا عما يحدث حوله.

فمن غير المناسب واللائق للمبلغ ، الذي يريد اصلاح الناس، ويقوم بدوره الشرعي ، ووظيفته الاصلاحية ، وهو يجهل ما يدور حوله من الشبهات ، والأفكار الضالة، والفرق المنحرفة ، يقول امير المؤمنين (عليه السلام) : أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ،،)[1].

فالمبلغ ينبغي ان لا يقنع بالألقاب والمسميات الاعتبارية، والشهادات العلمية، والمناصب الدينية ، وهو غافل او يتغافل عن الساحة الاجتماعية وما يُحاك ضد الإسلام والمسلمين.

وقد قلنا في البحوث السابقة ان الناس تريد من رجل الدين ان يشعر بهمومهم، ويعالج مشاكلهم، ويعي ما يجري حولهم وعلى

(١) نهج البلاغة

جميع الاصعدة، وهذا لا يتأتى إلا بالاختلاط والاطلاع الواسع، والقراءة الصحيحة للواقع المعاش، والشعور بالمسؤولية.

فان اعداء الدين لديهم اطلاع واسع عن كل شاردة وواردة عن الإسلام والمسلمين، ولذا تراهم يعلمون كيفية اثارة الفتن بين المسلمين، وإلقاء الشبهات، ونشر الاشاعات والاكاذيب في شتى الطرق في التواصل الاجتماعي قال تعالى ﴿....وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[1] .

رابعا: الحفاظ على النسيج الاجتماعي

ومن المسائل المهمة الملاقاة على عاتق رجل الدين، وتُعد من اهم وظائفه الأساسية هو الحفاظ على النسيج الاجتماعي من التشتت والتنازع والتقاتل.

فمن الواضح ان المجتمع الإسلامي لا يخلو من خليط من الديانات الأخرى التي تعيش معه منذ القدم.

---

(١) سورة التوبة اية ٩٨

وفي نفس الوقت ان المجتمع الإسلامي ينقسم الى طوائف ومذاهب وفرق كثيرة ومتعددة.

وهذا الاختلاف قد يُستغل من أعداء الدين لزرع الفتن، والاقتتال والبغي بينهم.

ومن هنا تأتي وظيفة رجل الدين في وأد الفتن، والحفاظ على النسيج الاجتماعي من التشتت والتنازع، والسعي في استقرار السلم الأهلي في المجتمع الإسلامي، ولا يسمح لأعداء الدين ، والجهلة في تشويه سمعة الدين والمذهب الحق.

ولذا عمد علماؤنا وعلى مرّ التاريخ على ضرورة الحفاظ على أرواح الناس، واعراضهم، واموالهم، مهما اختلفت أديانهم، ومذاهبهم وفرقهم، مستوحيين ذلك من تعاليم الدين الحنيف.

فالإسلام ينبض بالسلام والمحبة، ويرفض البغي والتعدي على الاخرين قال تعالى ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1] وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ

---

(١) سورة البقرة اية ١٩٠

بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١]

فان قوة المجتمع نابعة من قوة ارتباطه، وذلك من خلال الحفاظ على نسيجه الاجتماعي والسلمي، واسكات ابواق الطائفية، وعدم الانجرار معهم. فالاختلاف أمر واقعي مع الآخرين، وليس بالضرورة ان يؤدي الى الخِلاف والبغي، ثم هنالك الكثير من نقاط الاشتراك مع الآخر وعلى رأسها الإنسانية والأخلاقية، ولا ننسى وصية امير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشتر قال له: وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق [٢])

اذاً فعلى رجل الدين ان يمارس دوره بصورة فاعلة ومسؤولة في وأد الفتن، وافشاء السلام والمودة بين الناس، حتى لا يدع لأهل الباطل والمتربصين بالإسلام واهله شر ، مجالا وفرصة لنشر الفوضى والتنازع والتخاصم بينهم.

---

(١) سورة النحل اية ٩٠

(٢) نهج البلاغة

خامسا: روح الابوية

ومن الأمور المهمة والضرورية في شخصية رجل المصلح ، وخاصة في رجل الدين ان يتحلى بروح الابوية للناس، فكما ان الاب بطبعه وغريزته يحب لأبنائه الخير، ويدفع عنهم الشر ، كذلك ينبغي ان يتعامل المصلح مع الناس بروح الابوية، فيشعر بهمومهم ومعاناتهم، ويسمع مناشدتهم، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويدافع عن حقوقهم، ويصفح عن زلاتهم، ويجمع شملهم، ويصلح بينهم ، ويكون خير ناصح لهم.

وينبغي ان يكون تحرك رجل الدين تحركا نابعا من العطف والشفقة والرحمة كما كانت سيرة رسول الله واهل بيته (صلى الله عليهم اجمعين) مع الناس.

وان تكون روح الابوية شمولية، وعامة بحيث تستوعب الجميع قال تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (٢)

---

(١) سورة التوبة اية ١٢٨

(٢) سورة الأنبياء اية ١٠٧

فقد كانت رحمة اهل البيت (عليهم السلام) واسعة ، وتغدق بالعطاء ، وشاملة للجميع على حد سواء ، وقصة امير المؤمنين (عليه السلام) مع النصراني المكفوف مما يؤيد هذا المطلب أيضاً: حيث كان الإمام (عليه السلام) في شوارع الكوفة.. فمرّ بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف (عليه السلام) متعجباً وقال (عليه الصلاة والسلام): ما هذا؟ ولم يقل من هذا، و(ما) لما لا يعقل، و(من) لمن يعقل، أي انه (عليه السلام) رأى شيئاً عجيباً يستحق أن يتعجب منه، فقال أي شيء هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفّف.

فقال الإمام (عليه السلام): ما أنصفتموه.. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه، اجروا له من بيت المال راتباً.[1]

سادسا: انشراح الصدر

لا شك ان المبلغ والداعي الى الله يحمل رسالة مهمة وكبيرة، من التوعية والإرشاد، والإصلاح، والدفاع عن المظلومين والمحرومين.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١ ص٤٩ باب١٩ ح١

وهذه الوظيفة الشريفة بطبيعة الحال ليست سهلة المنال انما تواجه تحديات كثيرة، وعقبات كبيرة، لان اهل الباطل هم ند لأهل الحق، ولن يقفوا مكتوفي الايدي، بل يبذلون كل طاقاتهم، ووسعهم في الدفاع عن باطلهم، ولا يتورعون عن استعمال أي وسيلة في سبيل نيل مقاصدهم الباطلة.

وهذا السيل من المواجهة مع اهل الباطل بشتى تداعياته، لا يمكن للمصلح الصمود امامه لولا وجود انشراح الصدر، والقلب الرحب، المفعم بالإيمان واليقين، والثقة بالله تعالى بحيث يستوعب جميع التحديات والصعوبات التي تنهال عليه من كل حدب وصوب.

اذاً فملكة انشراح الصدر اساسية وضرورية في تواجدها في رجل الدين، وهي من النعم الإلهية التي يمنّ الله بها عباده المصلحين، وقد منّ اللهُ سبحانه على رسولهِ الاكرم، بهذه النعمة العظيمة قال عزّ وجل ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.[1]

وقد طلبها نبي الله موسى (عليه السلام) لأهميتها في مواجهة فراعنة زمانه قال سبحانه (﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ

(١) سورة الانشراح اية

﴿أَمۡرِي﴾ [(١)] وان المتمتع بهذه الخصلة المباركة فهو على هداية من ربه قال تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ.... ﴾ [(٢)].

فان المصلح معرضٌ للانتقادات الحادة، والمضايقات، والتشويه، فاذا لم يكن منشرح الصدر سينهار، ويهزم، ويفشل، ويضيق صدرا امام الصعوبات.

وكم رأينا اشخاصا تخلوا عن العمل الرسالي بسبب قلة صبرهم، وضيق صدورهم، وطلبهم للعافية، وخوفهم من العواقب والتبعات في هذا الطريق ذات الشوكة ، وهو طريق الأنبياء والمصلحين.

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وآله) اسوة حسنة في هذا الطريق فقد كان يسمى عند قومه قبل بعثته المباركة بالصادق الأمين ولكن ما ان بُعث واخذ يدعوهم الى الله ، ويرشدهم الى طريق الحق ، اخذوا ينعتونه بالنعوت المسيئة كالساحر والمجنون والمفتري وغير ذلك لكنه صمد امام جميع تلك الضغوطات والصعوبات ،

---

(١) سورة طه اية ٢٥

(٢)سورة الانعام اية ١٢٥

وامره ربه بالصبر ، ووعده بالظفر والنصر قال تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ....﴾[1]. وقال سبحانه ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾[2]

فمن الخطأ ان يظن المرء ان طريق الإصلاح وتوعية الاخرين امر غير محفوف بالمخاطر، والتضحيات، فقد يأتي البلاء من القريب قبل البعيد، ومن تظنه سندا وعونا فاذا بك تراه خصما لدودا وما ذلك بعجيب.

سابعا: التواصل والتعاون

ومن الوظائف المهمة والضرورية في ثقافة رجل الدين هو بث روح التواصل والتعاون مع الاخرين، بما فيه مصلحة في ترويج شريعة سيد المرسلين، ومذهب امير المؤمنين واهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين، وما فيه خدمة لأهل الدين، واعانة الضعفاء والمساكين قال عز وجل ﴿....وَتَعَاوَنُواْ عَلَى

(١) سورة الاحقاف اية ٣٥

(٢) سورة الحجر ٩٥

ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

وان يمد جسور التواصل مع المؤسسات الدينية، والمساجد، والمراكز الثقافية، والوجهاء والمؤمنين والمثقفين وغيرهم حتى يستغل هذا التواصل والتعارف في مجال التعاون الديني ، والاجتماعي والإنساني والأخلاقي.

وان ينأى بنفسه عن التقاطع والخلاف والعصبية والجِهوية التي تؤثر بشكل كبير في التدابر والقطيعة والضعف.

فان الانطواء والانزواء على جِهوية معينة تشلّ حركة رجل الدين، وتضعف دوره في الساحة الاجتماعية، لان دائرة وظيفته واسعة ومسؤوليته كبيرة، فمن غير المناسب والصحيح ان يتقوقع في مساحة ضيقة، وفئة محدودة.

ان من اهم المشاكل التي تعيشها المؤسسات الدينية اليوم هي تحديدها في إطار جِهوي ضيق بحيث تفقد روح الابوية والشمولية وبالتالي تكاد تنعدم جسور التواصل والتعاون فيما بينها،

---

(١) سورة المائدة اية ٢

وهذا المحذور الخطير ينبغي ان لا يقع فيه رجل الدين باي شكل من الاشكال حتى مع وجود الاختلافات في وجهات النظر مع الاخرين، فان الاختلاف امر طبيعي ولكن التقاطع امر سلبي.

قال تعالى (﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] وروي عن علي عليه السلام: (إنما أنتم على دين واحد، ما فرّق بينكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادّون).[2] وروي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: (إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل وتورث النفاق وتكسب الضغائن وتستجير الكذب)[3].

إذاً ان تواصل رجل الدين مع الاخرين هي حلقة وصل، وخير سبيل للتعاون والتكاتف، ونبذ الخلاف، وإزالة الاضغان، وتقوية المذهب، وافشال خطط الماكرين قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ

(١) سورة الانفال اية ٤٦

(٢) موسوعة احاديث اهل البيت ج ١٢ص ١٣٤

(٣) كتاب بحار الانوار ج ٢ص ١٢٨

ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[1].

ثامنا: حسن الاصغاء وبذل الوقت

من المسائل التي يجب ان تُراعى هي مسالة حسن الاصغاء من رجل الدين ، وتخصيص الوقت الكافي لكافة الناس.

فينبغي ان يحسن الاصغاء ، بقلب رحب، وصدر واسع، مع بذل السعة من الوقت ، حتى يجيب عن اسئلتهم واستفساراتهم وما يخص دينهم ودنياهم.

فلا شك ان الناس تختلف فيما بينها في مدارك فهمها ووعيها وربما البعض يفهم المطالب والمسائل خلافا لما طُرحت فتبقى الشبهة معلقة في ذهنه فيأتي ليسأل عنها، والبعض منهم لديه مشاكل اسرية او اجتماعية يبحث عن حلول وطرق لمعالجتها فيلجأ الى رجل الدين الى حلها.

فمدارة الناس في هذه الخصوصية مسالة ضرورية لا تنفك عن دور ووظيفة رجل الدين، فليس من اللائق الاحتجاب عن

(١) سورة الرعد اية ٢٢

الناس او الانصراف من أماكن تواجدهم كالمساجد ودور العبادة الأخرى بصورة سريعة مما يتسبب في عدم بذل الوقت لهم وبالتالي لا يتسنى لهم سؤاله والاستفسار عما يلوج في صدورهم.

ثم ان حُسن الاصغاء للناس وبذل الوقت لهم ، لهما اثار كبيرة في معرفة أحوالهم ، وقضاياهم المصيرية، وحلّ مشاكلهم الاسرية، وتقوية العلاقات الأخوية، والإجابة عن مسائلهم الشرعية، والتنفيس عن همومهم، والسعي في قضاء حوائجهم الخ.

تاسعا: المحاضرات التوعوية

تُعد المحاضرات التوعوية والتربوية من اهم الوظائف لرجل الدين وخاصة في زماننا، ومع تنوع وسائل وسبل الفساد، وكثرتها وتعددها، واستفحالها في المجتمعات والاسر، وسهولة تداولها وانتشارها بين الناس.

فمن هنا تكون المسؤولية كبيرة وحتمية على رجل الدين في التصدي للفساد والمفسدين بحزم ونشاط في توعية مجتمعه، واستغلال كل فرصة سانحة في بيان مخاطر السلبيات واثارها على الافراد والاسر.

وان يركز رجل الدين على المسائل المستحدثة والجديدة والجوهرية والخطيرة التي تمس الوضع المعاش ، ويتصدى للمسائل التي تنشر الفساد، وتدمر اخلاق العباد، وتزعزع عقائدهم، وتضعّف ايمانهم، وتفكك أواصر العلاقات بينهم كخطورة المخدرات، والألعاب، والأفكار والشبهات المنحرفة، والدعوات الباطلة، والعلاقات المحرمة في التواصل الاجتماعي بين الجنسين ، وظاهرة كثرة الطلاق .

وان يقلل من المسائل الواضحة والمعروفة في اذهانهم التي يتكرر طرحها على مسامعهم منذ قرون وان كانت لا تخلو من فائدة، وفيها نتائج مهمة ولكن لابد من تقديم الأهم على المهم، فان لكل مقام مقال، ، له خطاب ينسجم مع واقعه، وان مسايرة الواقع بحيثياته المتنوعة، وتحدياته المختلفة امر لا مناص منه.

إذاً لابد من استغلال المناسبات في التوعية والإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(١)

(١) سورة ال عمران اية ١٠٤

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله)[١]. وعنه (صلى الله عليه وآله):(إذا ظهرت البدع ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فلينشره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد)[٢] وعن يونس بن عبد الرحمان: روينا عن الصادقين (عليهم السلام) أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان[٣].

عاشرا: الترفع عن الاطماع

قلنا في البحوث السابقة ان طريق رجل الدين ليس معبدا بالورود والرياحين انما هو محفوف بالمكاره والبلايا والمغريات التي يفشل فيها الكثير ما لم تصل النفس الى درجة عالية من الإخلاص والطهارة.

فمن المسائل التي يكون فيها رجل الدين عرضة للبلاء والامتحان هو ما يتسابق عليه البعض في اعتلاء بعض المناصب

---

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص٢٣٨

(٢) نفس المصدر

(٣) نفس المصدر السابق

والمسؤوليات في الأماكن الدينية وغيرها التي تكون مشفوعة بالطمع وحب الزعامة والاغراض الدنيوية الكثيرة التي تنافي اهداف المصلحين الذين لا هم سوى نيل مرضاة الله تعالى، والذين يزهدون عن الزعامات ولا يعيرون لها أي اعتبار الا ان تكون وسيلة في ابتغاء رضوان الله.

مع العلم ان أي منصب مهما كان صغيرا تقابله مسؤولية تناسبه، ويسال عنه يوم القيامة قال تعالى ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾(1).

فعلى المرء ان يترفع عن هذه النوايا الدنيوية، وان يتنزه عن منافسة الاخرين على حطام زائل، فلا يتقلد مكانا الا ان يكون غرضه الإصلاح، وتوعية الاخرين، ومحاربة الفساد والفاسدين، ولا يغالط نفسه ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾(2)

ومن يعلم ان غيره أكفأ منه، ولديه القابلية العلمية التي تؤهله بان يكون مكانه فينبغي ان يفسح له المجال ولا يكون حجر عثرة امامه، فالمسؤولية امانة الهية يتحملها من هو أهلها، ولا يتصدى

---

(١) الصافات: ٢٤

(٢) القيامة: ١٤ – ١٥

لها من يعلم انه سوف يظلم او يقصر فيها. وفي نفس الوقت عليه ان يتصدى للمسؤولية اذا ما سنحت الفرصة ، وتهيئت له الظروف المناسبة كما فعل نبي الله يوسف عليه السلام حينما علم ان الظروف متهيئة للتصدي ، وانه يمتلك المؤهلات الكافية ، وشعر بأهمية المسؤولية التي تلزم عليه ان يتحملها لهداية العباد ، وإصلاح البلاد ، فانبرى قائلا لملك مصر ، وكلّه ثقة وايمان ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1]

فاليوم نشهد بعض المنافسات على أماكن ومناصب وزعامات ليس الغرض من توليها احقاق الحق، وابطال الباطل انما من اجل مكاسب دنيوية سرعان ما تزول وتبقى تبعاتها في عهدة فاعلها، فاين نحن من قول امير المؤمنين عليه السلام حينما صدح قائلا : أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز[2]

---

(١) سورة يوسف اية ٥٥

(٢) نهج البلاغة

حادية عشر: المصداقية في القول

يُعظم المرء في نفوس الناس، وتميل اليه قلوبهم، إذا كان قوله يوافق عمله، وهذا الامر يعرف من خلال سيرته المحمودة التي يراها الناس، او تناقلت عنه كتب السير الموثوقة ، واخلاصه مع ربه.

ومن كانت موعظته تخالف سيرته وسلوكه، فلا يسمع قوله ، ولا يهتم لحديثه، وكان عندهم ملوما، وعند الله ممقوتا قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]

فمصداقية القول مقدمة أساسية في التأثير في نفوس الناس، وخطوة مهمة لتفاعلهم مع الواعظ والمتحدث، ومن دونها تكون النتائج عكسية او ضئيلة لا ترتقي الى المستوى المنشود.

فالمطلوب من الداعي الى الله ان يكون داعيا بأخلاقه وسلوكه وسيرته قبل لسانه روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال – في

(١) الصف: ٢ – ٣

حديث -: كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زينا ولا تكونوا شينا[١].

وعن ابن أبي يعفور، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية)[٢] وروي عن رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) انه قال : قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، ويَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، ويُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ .[٣]

فعملية التأثير في نفوس الناس، وإصلاح الفساد في المجتمع هي غاية المرجوة من المتكلم وهذه العلمية متقوّمة بالسلوك وفعل الانسان، وليس ببلاغة اللسان.

اذاً لابد من توافق حقيقي بين الظاهر والباطن، بين القول والفعل، والسر والعلن، فقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم" :للمنافق ثلاث علامات يخالف لسانه قلبه، وقلبه فعله، وعلانيته سريرته)[٤].

---

(١) كتاب وسائل الشيعة ج١ ص٧٦
(٢) فس المصدر السابق
(٣) الكافي: ١ / ٣٩، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني
(٤) كتاب الخصال ص١١١

وفي نفس الوقت فكما يجب على الداعي الى الله تعالى ان يكون صادقا مع ربه ، وان يسير على نهجه وصراطه ، ويكون ظاهره وباطنه سيان فعليه أيضا ان يبتغي مرضاته ، ويتجنب سخطه، سواء رضوا عنه الناس او لم يرضوا ، وليست المعادلة عكسية بان نرضي المخلوق بسخط الخالق فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال: من طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذاما، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم، ومن أحسن ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس [١] .

وروي عن الإمام الحسين (عليه السلام) انه قال: من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس والسلام [٢] وروي عن الإمام علي (عليه السلام) - فيما كتب إلى محمد بن أبي بكر -: إن استطعت أن لا تسخط ربك برضا أحد من خلقه فافعل فإن في الله عز وجل خلفا من غيره، وليس في شئ سواه خلف منه[٣].

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١١٠٠
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) نفس المصدر السابق

ومن اجمل ما قرأتُ من رواع امام البلغاء، وسيد الفصحاء امير المؤمنين (عليه السلام) فقد روي عنه انه قال: إني لأرفع نفسي أن أنهى الناس عما لست أنتهي عنه، أو آمرهم بما لا أسبقهم إليه بعملي، أو أرضى منهم بما لا يرضي ربي)[١] وعنه (عليه السلام): إني لا أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها)[٢]

الثانية عشر: قوة الشخصية

من عوامل التأثير في المجتمع، ومن الملكات الفاضلة التي ينبغي ان يتمتع بها رجل الدين، والداعي الى الله في مواجه المجتمع، هو التمتع بالشخصية القوية، التي تمتاز بالرزانة، والوقار، والصلابة في الدين والايمان، بحيث لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يتنازل عن الحق ولا يجامل اهل الباطل، ولا يساير اهل الاهواء.

---

(١) ميزان الحكمة ج ١ ص١٤٢
(٢) نفس المصدر

ان قوة الشخصية تضيف لصاحبها الهيبة بحيث لا يتطفل عليه الجاهلون ، والمنتفعون لأنهم يعلمون انه شديد بأس في ذات الله، وفي نفس الوقت تُسمع كلمته بين الناس، وتنقاد له القلوب والنفوس والعقول ، ولكن هذا لا يعني ان صاحب الشخصية القوية يتعامل مع الناس بالشدة والغلظة والفظاظة فهذا مما لا ينبغي ان يقع مطلقا ، انما تستمد قوتها من قوة الايمان ، والذوبان في الإسلام ، وفي هذا المقام نتبرك بسيرة امير المؤمنين عليه السلام واحواله المباركة ، وكيف كانت هيبته مع دنوه وقربه من اصحابه روي انه (دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ ـ معاوية ـ: صِفْ لِي عَلِيّاً ؟. فقال له أوَ تعفيني من ذلك؟ فقال لا اعفيك.

فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمُدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِفُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ.

كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ ، وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ ، وَيُنَاجِي رَبَّهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خَشُنَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَاجَشبَ .

كَانَ وَاللَّهِ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وكُنَّا مَعَ دُنُوِّهِ مِنَّا وَقُرْبِنَا مِنْهُ لَا نُكَلِّمُهُ لِهَيْبَتِهِ ، وَلَا نَرْفَعُ أَعْيُنَنَا إِلَيْهِ لِعَظَمَتِهِ ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفَ مِنْ عَدْلِهِ ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَ قَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، فَكَأَنِّي الْآنَ أَسْمَعُهُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا دُنْيَا ، يَا دُنْيَا ، أَبِي تَعَرَّضْتِ ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ هَيْهَاتَ ، هَيْهَاتَ ، غُرِّي غَيْرِي ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ ، قَدْ أَبَنْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ لِي فِيهَا ، فَعُمُرُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ ، آهِ آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ وَعِظَمِ الْمَوْرِدِ. فَوَكَفَتْ دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ فَنَشَفَهَا بِكُمِّهِ ، وَاخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ ثُمَّ قَالَ ـ معاوية ـ : كَانَ وَ اللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ كَانَ حُبُّكَ إِيَّاهُ ؟ قَالَ: كَحُبِّ أُمِّ مُوسَى لِمُوسَى، وَأَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّقْصِيرِ.

قَالَ: فَكَيْفَ صَبْرُكَ عَنْهُ يَا ضِرَارُ؟ قَالَ: صَبْرَ مَنْ ذُبِحَ وَاحِدُهَا عَلَى صَدْرِهَا، فَهِيَ لَا تَرْقَى عَبْرَتُهَا، وَلَا تَسْكُنُ حَرَارَتُهَا.

ثُمَّ قَامَ وَخَرَجَ وَهُوَ بَاكٍ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ فَقَدْتُمُونِي لَمَا كَانَ فِيكُمْ مَنْ يُثْنِي عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا الثَّنَاءِ! فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ حَاضِراً: الصَّاحِبُ عَلَى قَدْرِ صَاحِبِ [١].

والحمد لله رب العالمين ٢٠٢٠ /١٨/١٠

سامي التميمي

(١) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)): ٨٤ / ١٥٦

المحتويات